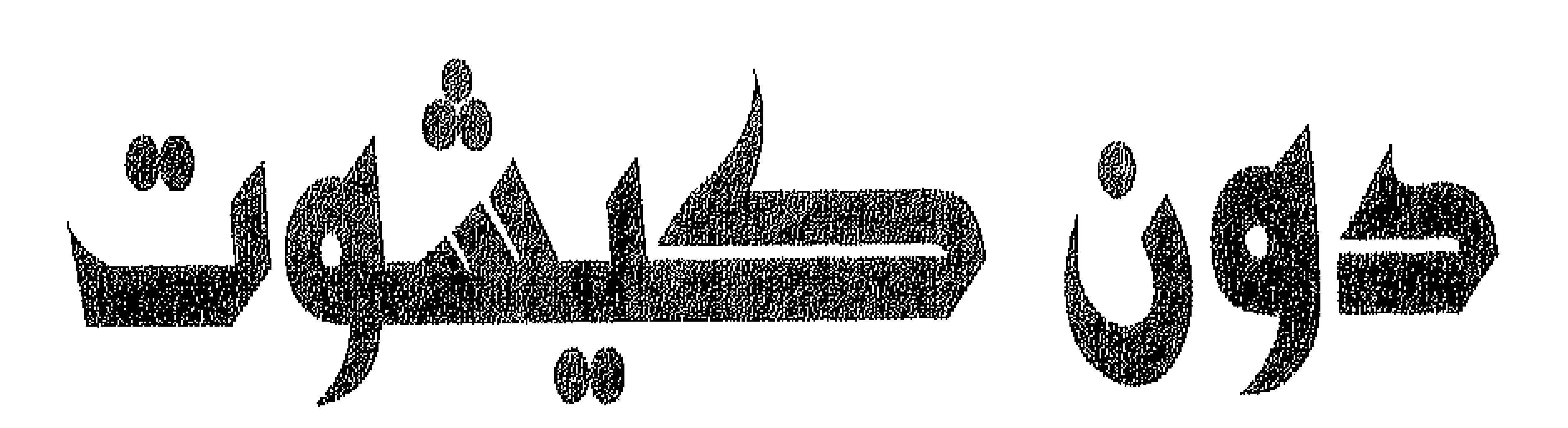
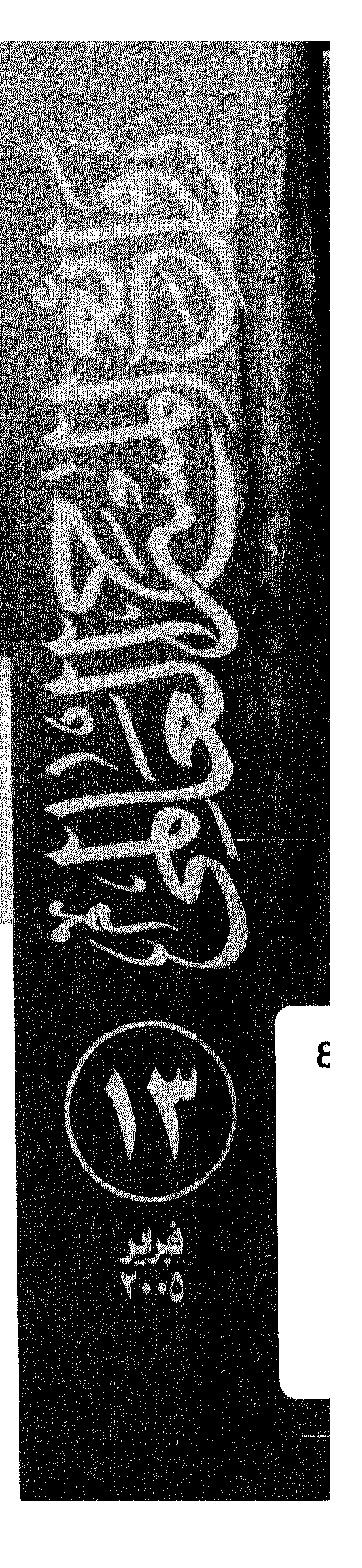






تأليف : **إيف جامياك**

ترجمة وتقديم : **فتحي العشري**

دون كيشـــــوت

تأليـــــف: إيـف جاميـاك

ترجمة وتقديم: فتحى العشرى

MINISTRY OF CULTURE
NATIONAL CENTER
FOR DRAMA MUSIC
& FOLKLORE ARTS



سلسلة روائع المسرح العالمى

تصدرعن المركز القومى للمسرح والموسيقى
والفنون الشعبية

وزارة الثقافة

المسرح..
حوار الإنسان مع الوطن والعالم

فاروق حسنى

وزير الثقافة

من أين أتى هذا الإنجاز المصرى الهائل - فى كل فنون العرض المسرحى كتابة وإخراجاً وتمثيلاً وتشكيلاً وموسيقى - إن لم يكن مصدره معادلة خالدة لا تتجزأ هى: حوار الإنسان مع الوطن وسط دائرة أكبر هى العالم.

تلك التى فى تضافرها واتحادها وتفاعلها لا تزال تعطى ولا تتوقف عن العطاء. ففى ظل لافتة شعارها .. البحث عن الشخصية المصرية.. تنقيباً عن لحظة أن دخل إلى مصر وليداً ونهضوا به اقتباساً وإعداداً وترجمة حتى وصل إلى أن أصبح الآن مصرى الملامح، عربى الأحلام والهموم، عالمى المشاركة والتثمين والتقييم فى لحظتنا الحاضرة. وبما يعنى - وبكل تأكيد- أنه وهو الآخر قد تعرض لفعل الثورة فثار. ولفاعلية التحديث والتطوير فحدّث وطور مثلما واجه ضرورة المواكبة وصدق التعبير وأمانة التمثيل: فواكب وعبر ومثل المجتمع الإنسانى عاكسا ما يعانيه عارضا ومتعرضا لما يعايش، مستشرفا ما يحلم به

أن يتحقق ثم فارضا ما يريده أن يكون؛ حتى فاق إنجازه فى عصر مصر الحديثة مساحة الزمن المعطي له - هو وغيره من الفنون- كما قفزت معدلات عطائه ونضجت وتنوعت مع ثورة يوليو ١٩٥٢ إلى أن وصلت إلى ما نعيشه الآن من تدفق راق فى الإبداع وحرية فى التعبير ضمن عملية تثاقف مستمر مع العالم وحوار لا يتوقف مع حضارته: مؤثر ومتأثر .. قائل ومستمع، آخذ ومقابل بالعطاء!

فإلى هذا الجدل الثقافى المتحضر الخصب .. إلى صناعته والمستفيدين منه نتوجه بهذه السلسلة من إصدارات المركز القومى للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية مستفتحين ومستبشرين باستهلالها بالترجمة التاريخية الفريدة لرائعتى سوفوكليس بقلم عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين سيراً على طريق التنوير وإضافة مخلصة لإنجازات رواده.

هذه السلسلة

أ.د. سمير سرحان

من المركز القومى للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية تواصل وزارة الثقافة المصرية إشعاعاتها لكى تضىء هذه المرة مقدمة سلسلة «روائع المسرح العالمى» واضعة بين يدى القارئ العربى فى كل شهر عملاً جديداً تنتقيه من قائمة إبداعات العالم الدرامية؛ ناقلة إياه إلى لغتنا الأم، وقد تعهدته أقلام متمكنة لصفوة من الأساتذة المترجمين، وراجعته أقلام خبيرة، وأشرفت عليه لجنة أسماؤها متميزة في حقول لغات العالم وآدابها ملتزمين بأن تكون الترجمة عن الأصل الأجنبى مباشرة وأن يكون صاحبها ذا خبرة بترجمة الدراما والإحساس بحوار المسرح وجوه وإيقاعه.

أما الهدف النهائى فهو حركة مسرحية نشطة وفاعلة تستقبل إضاءتها من شتى الاتجاهات والمصادر كما تعكس إشعاعاتها على العالم مؤكدة أن مصر لاتزال معطاءة ومبدعة وأن حوارها مع العالم مثمر ومتصل.

دون كيشــوت بداخلى ما يزال،
وقد كنت يوماً دون كيشـوتاً

فتحى العشرى

مقدمة

دون كيشـــــــوت.. والمستحيل!

عندما يذكر اسم " **دون كيشـــــــوت** " تتبادر إلى الأذهان رواية الأسباني الكبير "سرفنتيس".. أما هذه المسرحية للفرنسي المعاصر " إيف جامياك " فلا تعتمد على الرواية الأصلية قدر اعتمادها على الشخصية الأسطورية " دون كيشوت " الذى عاش فى قرية أسبانية صغيرة واختار " سانشــــو " تابعاً له، هو يعتلى جواده وتابعه يمتطى حماره، يجوبان الأرض ويعتقدان أنهما صعدا إلى السماء، بحثاً عن الحقيقة والمطلق، وفى سبيل ذلك يعانيان الكثير والكثير جداً.

من المعروف أن المحاولات المسرحية الكثيرة والمتنوعة كلها مأخوذة عن الرواية الأصلية.. ولكن هذه المسرحيات رغم تنوعها، قد حافظت على أحداث الرواية وأحتفظت بالشخصيتين الرئيسيتين " دون كيشوت " و " سانشــــو " هذا فضلاً عن نقل الجوهر والمعنى والهدف دون تحريف أو تغيير أو تعديل بدعوى " المعاصرة " أى صب المضمون القديم برؤية عصرية فى قالب عصرى.. ولهذا يذكر المؤلفون جميعاً أمام مسرحياتهم " سرفنيتس " كمصدر بل ويتخذون من اسم " روايته " عنواناً لأعمالهم المسرحية الحديثة والمعاصرة..

من الذين تناولوا رواية " **دون كيشوت** " في قالب مسرحي، الكاتب المسرحى الأسبانى " بييرو باييخو " وهو كاتب أكثر شباباً من " أنطونيو باييخو " مؤلف مسرحية " **دماء على ملابس السهرة** ".. والكاتبان الفرنسيان " سرج جنزل " ومسرحيته " **دون كيشوت الفارس المقدام** " و " ايف جامياك " في مسرحيته " **دون كيشوت** " ..

أما " **دون كيشوت** " باييخو فتجنح إلى رواية عصرية ومعاصرة " تبين إلى أى مدى يمكن أن يضحى الإنسان من أجل مبادئه وآرائه وأفكاره مهما تحمل من أضطهاد وسخرية معاصريه ومواطنيه بل وأصدقائه.. ولذلك حاول أن يقدم " فانتازيا " مصحوبة بالأغانى والاستعراضات، فجعل من " سانشو " عجوزاً حكيماً..

وقد صاغ شاعرنا المصرى " كمال عمار " أشعاراً مستمدة من مضمون الرواية ومضمون المسرحية معاً، أخرجها في تجربة ناجحة مخرجنا الشاب " سناء شافع " الذى أسند البطولة إلى الفنان الكبير " جلال الشرقاوى " أما **دون كيشوت** " جانزل فقد قدر لى أن أشاهد عرضاً لها بمهرجان آفينيون المسرحى عام ١٩٧٣ وسط مئات المتفرجين العاشقين لمسرح من أنحاء العالم.. وقد نالت المسرحية تقديراً جماهيرياً ونقدياً بالغاً..

أخرج مسرحية " جانزل " المخرج الفنان " جابرييل جاران " الذى جعل من " دون كيشوت " سرفنتيس فارس رحالة يخرج مع

تابعه سانشو بحثاً بلا نهاية عن حلم مستحيل، عن عالم يحكمه العدل ويسوده الأمان فيصدمه الواقع، ويخوض معارك ضارية ومجنونة حتى يتكسر ويتمزق ويموت. ولكنه لا يحارب طواحين الهواء، ولا يعتمد على وسائل بلهاء، فهو مدرك أن العالم لا يسير على حسب هواه، ولن يسير كما يود.. وهكذا ينجح " جانزل " فى تحويل " دون كيشوت " من بطل أسطورى وتاريخى، كما صوره سرفنتيس، إلى مجرد إنسان أو مرآة تنعكس عليها صور الآخرين.. إنه يثير فى كل منا " كيشوت " الكامن بداخله ثم يخمده عندما يعلن " كيشوت " الجديد فى نهاية المسرحية، أن مأساته هى فشله فى حياة الآخرين، ولهذا يموت بغير صلب. مختفياً عن العالم داعيا كلا منا لتحمل مسئولياته!

ولقد نجح " جاران " فى إخراجه البسيط لهذا العرض الكبير الذى بدت فيه الموسيقى والإضاءة أكثر أهمية من النص نفسه.. يقول جاران: " لقد أردت أن أقدم مسرحاً سياسياً، ولكنى أؤمن بأن المسرح الثورى لا يشعل ثورة.

وأخيراً نصل إلى هذه المسرحية، مسرحية " ايف جامياك " التى قدر لى أن أرى عرضاً لها هذا العام على " مسرح سرفنتيس " بقريته الأسبانية القريبة من العاصمة مدريد. وهو المسرح الخشبى المقتوح الذى أنشأة " سرفنتيس " وكان يقدم عليه أعماله المسرحية، فإلى جانب

شهرته كروائى كان "سرفنتيس" كاتباً ومخرجاً وممثلاً مسرحياً، وهذا مالم يشتهر به بل ولم يعرف به على الإطلاق.. أما القرية فيقال أن "سانشــــــــو " قد عاش فيها بالفعل، وهو شخصية حقيقية تناولها " سرفنتيس " المعاصر لها وأضاف إليها شخصيته " دون كيشــــــوت " وهو النموذج الذى كان يعيش فى العاصمة.. ولذلك يهتم مواطنو هذه القرية بسانشــــــــو أكثر مما يهتمون بدون كيشــــــوت، لأنهم يرون فيه أنفسهم بطبيعتها الطيبة السمحة رغم أنهم يرفضون تماما صفة السذاجة التى لصقها به " سرفنتيس " .. وهكذا يطلقون اسم " سانشــــــــو " على المحلات المختلفة والمدارس والتحف التى تمثل " الحمار " وليس " الحصان " حمار سانشــــــــو وليس حصان دون كيشــــــوت، والقنديل الذى كان يحمل الشموع فى مسرح " سرفنتيس ".

هذه المسرحية تتطابق تماماً مع أحداث الرواية بشكل مختصر ومركز، ذلك أن المؤلف لم يكتف بالإحتفاظ بالشخصيتين الرئيسيتين ولكنه حافظ أيضا على كل الشخصيات الثانوية الأخرى، بل وأشار إلى طواحين الهواء التى اضطر دون كيشــــــوت إلى محاربتها فى نهاية حياته حتى المــــــــوت وسط تعاطف وعطف كل من حوله وأبرزهم تابعه المخلص الوفى الأمين " سانشــــــــو " الذى يعلم رغم سذاجته أن سيده يحلم بل ويخرف ويصر على الإنتحار ومع هذا يتبعه ولا يريد أن يخالفه أو يتخلى عنه لينجو بنفسه، ولا يملك فى

النهاية إلا أن يترحم عليه ويدعو لإحياء ذكراه. ليكشف عن الشخصية الأسبانية الحقيقية التى تجمع بين الطيبة والوعى، بين الشفافية والاستشراف وبين الواقع والخيال.

إن " سانشـو " يحاول التراجع لأنه يدرك إلى حد كبير كنه المواقف والأحداث والشخصيات، ولكنه لا يستطيع، أحياناً من منطلق الشهامة وأحيانا من منطلق الرغبة فى الحصول على الجزيرة التى وعده بها سيده، وأحياناً خوفاً من غضبه وبطشه..

وأما " دون كيشـوت " فهو فى حقيقة الأمر " السنيور كيكسادا " الذى قرأ مئات الكتب وآمن بالحق والخير والجمال والفداء، فأعتقد أنه فارس، بل فارس الفرسان، وتصور أنه قهر الحاكم الظالم والأمير المخادع والحرس واللصوص والمـوت ذاته..

ومع هذا، كل هذا، لم يكن " كيكسادا " أو " دون كيشـوت " كما أطلق على نفسه، ساذجاً أو أبله أو مخبولا، ولكنه ببساطة شديدة كان خيالياً وطيباً وشجاعاً.. حتى ضرب به المثل، وأصبح اسم " دون كيشـوت " يطلق على كل من يريد صلاحا فى الأرض واصلاحا بين الناس على حساب نفسه وربما إضراراً بها..

وهذه هى صفات الأنبياء والمصلحين الإجتماعيين وزعماء الوطنية ودعاة الحرية..

وهذه هى صفاتهم جميعاً حتى وهم على فراش المـــــــــوت..
فدون كيشـــــــوت الذى شقى وتعذب ولقى الهوان، لا يستسلم، ويقول:" مكافأة الحكمة هى أن يموت الإنسان يحترق من يدافع عن الناس دون أن يملك ما يحميهم به ".. فيبصره دون كيشـــــــوت بالأمر قائلاً: " الأشياء البسيطة يمكن أن تكون هى الأكثر أهمية " وعندما يسأله سانشـــــــو: " من تكون؟ " يرد دون كيشـــــــوت بقوله: " فكر فيمن لا أكون وأنت تستطيع أن تعرف من أكون؟ "..

ويكاد دون كيشـــــــوت أن يستسلم وهو يقول للأمير وحاشيته: " الوقت الذى تضيعونه فى ضحككم الأجوف يتألم فيه غيركم من المرض والبؤس والفكر والحرب والكفاح "..

فيقوم سانشـــــــو من عزمه ويشد أزره وهو يقول له: " أنظر إلى من ينتظرونك يا سيدى.. كل الجائعين خبزاً.. كل الجائعين دفأ.. كل الجائعين حباً.. كل الذين تختفى عنهم الشمس.. كل الذين يبتاعون الهواء ليتنفسوا به.. كل المخدوعين، كل المسخرين، كل المحرومين من لقب إنسان! "

ويطمئنه دون كيشـــــــوت بقوله: " فيما تفيد السخرية من الضعف والخضوع لحاكم والخوف من أى شئ؟! ".. فيعلق سانشـــــــو بقوله: " فكرة فى اليد تشبه الريح، لكن ريحاً فى

الرأس يمكنها أن تتحول إلى فكرة .. وينهى دون كيشـــــــــوت رسالته وحياته بقوله: " الكلمة الاخيرة لن تكون للشيطان ".. وهكذا يرحل " دون كيشـــــــــوت " وهو مؤمن، مؤمن بالله قادر على تحقيق المستحيل الذى لم يقو هو على تحقيقه، لأن الله قد حقق المستحيل من قبل، خلق الكون والكائنات، وخلق الحياة والمـــــــوت، وهو قادر على خلود الوجود، وقادر أيضاً على إنهائه بالعدم، لتبدأ الحياة الأخرى أو الآخرة.. ومن له هذه القدرة كلها، قادر كذلك على نشر الحق والخير والجمال أو تلك هى حكمته، فلا حكمة فوق حكمته، سبحانه!

ويبقى " دون كيشـــــــــوت " رمزاً ـــ فى الأدب العالمى ـــ للغيرية لا الانانية، لحب الناس لا حب الذات، للبحث عن المطلق والافضل، والمجهول لا الاستكانة والرضوخ والأمان.

كما يبقى " سانشـــــــــو " رمزاً للوفاء والاخلاص والتفانى.

ثم يبقى العمل الآدبى ذاته، تراثا خالدا ومددا خصبا وثريا تنهل منه الأجيال المتعاقبة!

فتحى العشرى

دون كيشـــــــــــــوت

الجزء الاول

بعد دقات المسرح الثلاث، تطفأ الأنوار تسمع ضوضاء كبيرة لحدائد تتدرج. إضاءة. أمام طاقة سوداء تحدد المستوى الأول لخشبة المسرح، ترى مباشرة فى الوسط كومة قطع معدنية تتدحرج بعضها فوق البعض الآخر وفى قلب هذه الكومة يتحرك رأس الحلاق الذى يصيح "

الحلاق: مزعج، غبى، شرس، أرعن، أجرد، غدار، عصبى، مجنون! مجنون بجنون، بالقانون مجنون، بالشرع مجنون، بالطب مجنون، مجنون عالمى، عقل ممسوس، عقل مفكوك، عقل زئبقى، كيميائى، عقل متبخر، سائل، مهتك، مسطح، متضخم، ممتلئ..جنون! جنون! جنون! " **على إثر صيحات الحلاق تهرع من اليمين ومن اليسار ومن العمق المربية والفتاة والقس "**

المربية: كان الله فى عونك! أين أنت إذن؟

الحلاق: فى نصف عمر الحديد!

القس: ماذا تفعل فيه؟

الحــــــــلاق: أبحث عن روحي.. بركاتك معي ربما تذكرني الله!

الفتــــــــاة: ما هذا! من أين جاء هذا الجبل الضخم؟

الحــــــــلاق: أن هذا الصندوق جئت!

المربيــــــــة: وهل هذا سبب حتى تولول على الجنون؟

الحــــــــلاق: من؟ أنا؟ أين؟ متى؟ ولماذا أولول على الجنون؟! هل هناك شيء طبيعي أكثر من أن يظل حلاق مثلي مزروعاً في كومة حديد؟

المربيــــــــة: عظيم، إذن أنت مصدوم؟!

القــــــــس: عظيم جداً!" **للمربية** " لن تغني إذن للروح في هذا البيت؟

المربيــــــــة: تغني" **للقس** " بالعكس لا يوجد هنا غير الغناء! أنا السيدة العاقلة..

القــــــــس: عاقلة؟ من هو العاقل في نظرك؟

المربيــــــــة: العاقل في نظري، من ليس مجنوناً.!

الحــــــــلاق: مجنوناً! تسمع، هي التي تبشر بهذه الكلمة في البيت! شاهد

المربيــــــــة: هيه! ماذا جرى! أقول مجنوناً لأنه لا توجد كلمة أخرى يوصف بها المجنون غير كلمة مجنون.

القــــــــس: هش! إمسكي لسانك أيتها التعسة!

المربيـــــــة : اذا جرى؟ هل خرج من فمى نمر متوحش!

القـــــــس: كـان من الممكن أن تـرضى السـمـاء عن قطيع من الغنم يخرج من فـمك أكـثـر مما ترضى عن هذه الكلمة.. الله وحده هو الذى يعلم كم تسـتطيع كلمـة مثل هذه تـقال بهـذه البـسـاطة أن تدر من المصائب!.. هل تتـحـملين المسئولية؟

المربيـــــــة: إستمر، إستمر! كتفاى فى قوة رأسى!

الفتـــــــاة: لرأس! الرأس! يا ربى!

المربيـــــــه: ماذا دهاك! ماذا فى كلمة رأس يخدش عذريتك؟

الفتـــــــاة: ألا تعرفين؟ المخ!

القـــــــس: رأس! مخ!

الفتـــــــاة: أريد أن أقول العقل! نعم العقل عندما يذهب العقل!

المربيـــــــة : تقصدين الجنون!

الحـــــــلاق: آى! أذناى تنفجران!

القـــــــس: تريدين الحق! " **للمربية**" هذا جنون فى جنون.

المربيـــــــة: من الأفضل أن تصمت!

القـــــــس : طيب، صمتنا! ربما استطعنا أن نوقظ الشيطان النائم فى هذا البيت!

الفتـــــــاة: تعتقد بحق أن الشيطان هو الذى؟

القــــــــس: ربما! معقول!

الحــــــــلاق: معقـول! هذه هي الكلمـة التي ينبغي أن تقال! ومن هذه الناحية فنحن أناس معقولون، أما من الناحيـة الأخرى " **يشير إلى عمق المسرح** "

الجميـــــــع: هش! هش! هش!

"فترة صمت يستدير الجميع ناحية العمق"

المربيــــــــة: اليـوم وصلت عربتـان محملتـان بالكتب القديمـة.. أليس هذا جنوناً!

الحــــــــلاق: جنوون .. لو سمحت!

المربيــــــــة: جنوون، جنووون، جنوووون!

الجميـــــــع: هش!

القــــــــس: تقولين اليوم؟

الفتـــــــاة: عربتان من الحجم الكبير.

الحــــــــلاق : عند الفجر! الروح تستيقظ عندنا مبكراً، الحديد هنا يعرف الوزن تماماً! إثنا عشر طناً من فلسفة " سقراط " خمسـة عشـر طناً من آراء " أفلاطون "، أربعـة وعشـرون طناً من كـتب الفـارس " جينكيـز خان "، إثنان وثلاثون مـجلداً من " ثورة أسـبـارتاكـوس "، سبعـة وستون من كتب " لورانس ".. وتلك زيادات

فوق الحمولة.

الفتـــــــاة : وهي لا تكلفنا أكثر من ٧٥ ألف متر مربع من أجود أراضى القـمح.. يعنى نجـوع ونتـعـرى.. لا يهم أن نجوع، لكن أن نتعرى!

القــــــس : يا لها من فضيحة!

الحـــــلاق : أظل أحلق له ولا فائدة! والنتيجة؟

المربيــــــة : وأنا ، أخدم مـن؟ شـبح أسود طويل لا يرتدى غـير تراب الكتب.. شبح جففـه سم القراءة.. أخدم شـبح المرحوم الميت المجنون!" **تبكى** "

القــــــس : يا له من حب، انظروا كيف تحبه!

الحـــــلاق :" **وهو يبكى** " ومـا دام هناك شيء مـتبقى لنا ، وجب علينا أن نسهر على ما يتبقى له !

القــــــس : يا له من حب، كم تحبونه حقاً!

المربيــــــة : لأننا طيبون وعاقلون!

الفتـــــــاة : المعـقـول ومـا يجب أن يحـدث هو أن نحـرق هذه الكتب، سبب المصائب !

المربيــــــة : إلى أن تصير رمـاداً.. هذا ما يجب أن يحدث. وهذا هو المعقول.

القــــــس : هذا هو المعقول.. ولا بد أن تكسر باب حجرة القراءة.

الحـــــلاق : إذن ننتظر خروجه!

الفتـــــاة : خروجه! إنه لم يضع قدميه خارج صومعته منذ أكثر من عام

المربيـــــة : ولا أحد يستطيع تنظيفها من القاذورات.

القـــــس : شيء من البخور.. ربما!

الحـــــلاق : وماذا تنتظر؟

القـــــس : الباب مغلق!

الحـــــلاق : إذا كانت هذه هي المشكلة، دعني أجد الحل" **يصيح وهو متجه إلى العمق** " سنيور، يا سنيور! أنا حلاقك! افتح أكرمك الله!

المربيـــــة : "**للقس** " استعد! ما إن تلمحه اقترب منه واسأله عن صحته.. ولأنقلب خنزيرة إن لم يكن رده ثلاث حربات تكسر لك ثلاثة ضلوع.!

القـــــس: صحيح!

الحـــــلاق : وربما فتح جانبك بضربة سيف أو شق جمجمتك بضربة فأس.

الفتـــــاة : المهم ألا تتضايق.. كل شيء على حسب مزاجه، حسب اليوم الذي يراك فيه.

القـــــس : في الواقع، في الحقيقة، لم أكن مستعداً لهذا اللقاء.

عندى أعمال هامة فى أماكن أخرى.. " **ويهم بالرحيل** "

الفتاة : " **تمسك به** " لا يوجد أهم من هنا!

القس : عندك حق " **يوحى بالرحيل من جديد** " أصدقك!

المربية : " **تمسك به** " هذا لا يكفى، لا بد أن تراه وتتحدث معه!

القس : ماذا تريد أن أقول له؟

الحلاق : أى شىء! على كل هو لا يسمع أى شىء!

القس : إذن فيما يفيد الكلام معه؟ " **يحاول الرحيل من جديد**"

المربية : " **تمسك به** " فى ضربات الحربة والسيف والفأس التى وعدناك بها.

إظلام

بينما ينخفض الضوء فى المستوى الأول، تاركاً فى الظل الشخصيات الأربع أمام مقدمة المسرح من الناحية اليسرى، تفتح الطاقة فى المستوى الخلفى وراء ستار من التل يتصاعد الضوء ويظهر كالشبح، خيال دون كيشوت وهو يجلس فى مقعد مرتفع، مصلوب القائمة ثابتاً بلا حراك، وقد تسلط عليه

الضوء وحده، فى شبه هالة

يرفع ستار التل ببطء بينما تختفى الهالة المنيرة وتملأ الأضواء خشبة المسرح بعد ذلك يتضح وبشكل محدد ظهور دون كيشوت الذى يبرزه الديكور، هذا الديكور عبارة عن تشكيل مسرحى يتكون من براتيكابلات مختلفة الإرتفاع تظل على امتداد العرض بحيث يتصل كل مشهد بالمشهد الذى يليه عن طريق اتصال كل براتيكابل بالآخر دون فتحات بينها. وبحيث تدور الأحداث سواء فوق براتيكابل واحد أو أكثر أو فوقها جميعاً حسب أهمية المشاهد.

يدور المشهد الأول فوق المساحة كلها.

عدد كبير من الأقواس يتدلى بالحبال فى نهاية كل قوس علقت بعض الكتب المثبتة على ارتفاعات مختلفة وبأحجام متنوعة. بعض هذه الكتب ضخم ومغلف بالجلد المطعم بالذهب. والبعض الآخر مفتوح أو مشدود من الخلف والبعض الأخير معلق بميل شديد. كل هذا على هيئة غابة من الكتب. أمام دون كيشوت وعلى مسافة قصيرة منه توجد مائدة على طراز العصر وقد غصت بالكتب وصكوك الشرف

وقد شد دون كيشوت إلى هذه المائدة بنسيج عنكبوتى طويل بادئاً من مقعده وممتداً من لحيته وأطراف أصابعه. بالقرب من مقعد دون كيشوت ثبتت ثلاثة مجلدات ضخمة فى ارتفاع الإنسان وبشكل مستقيم. داخل هذه المجلدات يقبع بعض الممثلين الذين تظهر أقدامهم وأذرعتهم فقط حيث لا توجد لهم رؤوس وقد أمسك كل منهم بيده حربة فارس مشكلين بذلك حرس دون كيشوت.

فى المستوى الأول، خلف الحلاق والمربية والقس والفتاة ساتر يحجبهم عن دون كيشوت".

المربية: " بصوت منخفض للقس " أرأيته؟

القس : رأيته! رأيته! لقد تغير!

الحلاق : " وهو يقترب ببطء من دون كيشوت " كما طلبت منى، هبطت إلى الحديد. لكن كما يقولون: حديد صدئ فى اليد أفضل من كنز فى الهواء" يضحك ببلاهة ثم لا تلبث ضحكته أن تموت أمام صلابة دون كيشوت.بعدها يعود إلى المستوى الأول فى مواجهة الساتر ويتوجه بالحديث

إلى القـــــس " تقدم إذن! هاأنا قد هيأت لك الجـو.. عندك حظ، مـزاجـه على مـا يـرام.. كل مـا هنالك إنك ستصلب بثلاث أو أربع ضربات..

المربيـــــة : هيا، هيا إذن! " **تدفعه إلى وسط المكان** "

الفتـــــاة : كن عاقلاً.. من أجل خاطرنا " **تدفعه بدورها** "

الحـــــلاق : يا للكارثة! أظهـر كـرامـاتك! ألا يعـيب مـقـامك ومركزك الإهتمـام بضلوعك أكثر من مسـتقبلك. **يدفعه الثلاثة وقد تكور على نفسه. وفجأة يتسمر الجميع فى أماكنهم فقد بدأ دون كيشـــــوت يتكلم**".

كيشـــــوت : عـزيزى! إقتـرب، إقتـرب أكثـر، لدى سر كـبيـر أريد أن أطلعك عليه.

الحـــــلاق : ألم أقل لك؟ يقول لك عزيزى!

القـــــس : "**للآخرين** " يقول لى أنا ؟

المربيـــــة : لمن إذن؟

كيشـــــوت : عزيزى! يا عزيزى!

الفتـــــاة : هيا إذن! إذا نفد.. صبره.. علينا العوض!

القـــــس : " **يقـتـرب فى خـشـيـة** " سـيـدى.. يشـرفنى.. ويسـعـدنى.. أريد أن أقـول.. أريد أن أراك فى

صحة طيبة.. و.. صحة طيبة.. نعم.. هذه هى الكلمة.. طيبة، طيبة.. وأستطيع أن أقول أيضاً.. إنه.. إنه.. عندما يقوم إنسان بزيارتكم.. فلا بد.. نستطيع أنتم وأنا.. أنتم وأنا..

كيشوت : خسارة أن مرور الوقت يشوه هذا الكلام العظيم وذلك الحديث الرائع ن الكتبة كانوا يوفرون الحبر وبعد قرن أو قرنين أجمل الصفحات لا تقرأ..

القس : " **للآخرين** " ماذا يريد أن يقول؟

الحلاق : لا تهتم! هذه هى طريقته فى استقبال الصباح!

القس : سيدى.. انا.. بما أن القدر السعيد يريد.. يريد أن.. ربما استطعنا ؟

كيشوت : لا تشغل بالك أكثر من هذا، أيها الفارس الشجاع. لا شك إنى سأقرأ لك أشياء أفضل فى الفقرة القادمة.. إقلب الصفحة من فضلك..

القس : هيه؟

كيشوت : إقلب الصفحة، أقول لك!

القس : " **للآخرين** " يريدنى أن أقلب أية صفحة؟

المربية : أية صفحة هذا أمر يرجع لك أنت.

كيشوت : الصفحة البيضاء، الصفحة البيضاء! صاحب المكتبة أعطانى كتاباً كله صفحات بيضاء!

القـــــس : سيدى، أرجوك..

كيشـــوت : ماذا! هذا ليس خطأك أيها الفارس الشجاع، سأشترى لك نسخة ثانية، إنتهى الأمر!

القـــــس : تعرف علي يا سيدى.. أنا.. أنت تعرفنى.

كيشـــوت : إستمر فى الكلام أيها الساحر! هذه المرة لن تضحك علي! كل ألاعيبك لن تجعلنى أخطئ فى معرفة الكتـــاب أو الـ ...

القـــس : لكنى لست كتاباً يا سيدى.

كيشـــوت : لست كتاباً! لست كتاباً! لا يهم! سنعرف هذا من لون دمك! يقف على إمتداد قامته والسيف فى يده"

الحـــلاق : يا للكارثة! سيف! تعكر مزاجه!

كيشوت : " للحلاق " وأنت ماذا تفعل هنا ، يا جزء ثالث من حركة رونسوفو.

الفتـــاة : سيدى، أنا..

كيشـــوت : " للفتاة " وأنت يا رابع فصل من روميو وجولييت.

المربيـــة : استر يا رب! يجب أن أستمر..

كيشـــوت : "للمربية " وأنت يا مذكرات علاج للغيرة ، ما هذا التمرد الذى تنظمينه ضدى؟ هكذا ؟ من يفكر أن يكون عدوى، خياله واسع.. أو تجلد أربعة مجلدات تعسة

بجلد حلاق ومربية وعذراء وقس! أو ربما أعتقد أنكم ستضللون عقلي بحيلكم الرخيصة هذه، عموماً سأنسي غضبي ما دامت المسألة مضحكة " **للشخصيات الأربعه** " أما أنتم يا طبيعة مشوهة، الزموا أماكنكم وإلا سلمتكم ليد الهون! "**يهز سيفه. تهرع الشخصيات الأربعه إلى المقدمة وتقف في مواجهة الساتر لتحتمي به. وهنا يلاحظ أن الساتر يتكون من أربع ورقات. كل ورقة تنطوى على شخصية مشكلة بذلك غلاف كتاب. الحلاق والقس والفتاة والمربية يتحولون بهذا إلى أربعة كتب**".
أعتقد أن الحادث انتهى بالنسبة لي! " **يعود إلى الجلوس** "

القس : " **داخل الكتاب**" أسأل نفسي ما هي التفاصيل في شخصيتي التي تجعله يظنني كتاباً؟

المربية : " **داخل الكتاب** " وأنا التي لا تعرف القراءة!

الحلاق : " **داخل الكتاب** " نحن والحمد لله عقلاء، لسنا منهم. "

الفتـــــــــــاة : " **داخل الكتـــــــــاب** " كتب! كتب! يعتبرنا كتباً، ماذا ستكون سيرتنا إذن! "**ينفجر الثلاثة ضاحكين وكأنهم ثلاثة كتب ضخمة تهتز**".

كيشـــــــوت : عظيم! هرجوا كما يحلوا لكم! جاء الوقت، الوقت جاء! إلزموا معابد الخيانة والرعب يا أجبن سحرة، يا خداعين، يا نهازين، يا أكبر كفرة يا ثعابين، يا بنى آدمين بقلوب ميتة، يا ظلمة يرتدون روب العدالة! جاء الوقت، الوقت جاء! إنتبهوا جميعاً! أنا أنهض.. إنى أتكلم! وسأنفجر! " **لا يلبث أن يقف منتصب القامة ثم يتقدم إلى الأمام فى مواجهة الجمهور** " أنا مستعد أقرانى، أمرائى، أسيادى، فرسان الفروسية القديمة الشجعان، يا من صنعتم من سبارتاكوس زعيماً ومن جينكيز خان قائداً ومن لوركا مبشراً! فرسان المعارك العنيفة يا من نزعتم نيرون من روما أتسمعوننى؟ أنا مستعد! إننى أنتظر! "**تسمع أصوات موسيقى غريبة كأنها كوابيس، وترى ظلال متحركة تملأ المسرح بينما تتردد أصوات تتناهى من كل جوانب الصالة**".

الأصـــــوات : " **تتوالى** " الذراع اليمنى التى تحمى الشجاعة" **دون كيشـوت يرفع ذراعه اليمنى** "الذراع اليسرى التى تحمى الجراءة" **يرفع ذراعه اليسرى** " الصدر الذى يحمى القلب " **يحدب نصفه الأعلى** " عين الضمير" **يغمز بأحدى عينيه**" عين العدالة " **يغمز بالعين الأخرى** " اللسان الذى يقطع النميمة " **يخرج لسانه** " الفخذ اليمنى " **يرفع فخذه اليمنى** " الفخذ اليسرى" **يرفع فخذه اليسرى** " القاعدة" **يظل بلا حراك** " القاعدة! القاعدة يا سيد يا مرشح، القاعدة التى بدونها لا يستطيع الفارس أن يقعد على جواده! القاعدة من فضلك " **دون كيشـوت يتردد، يدير ظهره للجمهور وينحنى ليبين أسفل ظهره**" عظيم الآن أيها الخبراء الفرسان، ما هى النتيجة! كل شئ مهيأ لفارس حاكم! ولهذا نعلن أنه فارس حاكم كامل! ننتقل الآن للإيمان! " **نفخة بوق. دون كيشـوت يقترب أكثر من مقدمة المسرح** ".

كيشـــوت : يا سادة يا فرسان، يا من تضرب أسماؤكم الرنانة فى أذنى كالحقيقة! يا من تلمع أعمالكم العظيمة

فوق رأسى كالنجوم.. ها هو قلبى، ها هى رئتى ها هو طحالى وها هو كبدى، ها هى عروقى وها هو دمى، كل ما يجعلنى أحيا، يعنى كل حياتى بما فيها شعر ذقنى فى خدمة كل ما تعلمته عن طريق هذه الكتب.. بعدما شربت بعينى بهريز أرواحكم، يخيل إلىّ أن الجو مناسب وضرورى من أجل مجدى الشخصى ومن أجل مصلحة العالم كله أن توافقوا اليوم على جعلى فارساً جوالاً..

الصـــــوت : وما شكل هذا الفارس؟

كيشـــــوت : غير مرئى!

الصـــــوت : ماذا يحارب هذا الفارس!

كيشـــــوت : الكذب والطغيان!

الصـــــوت : بأى أسلحة؟

كيشـــــوت : أسلحة الشجاعة!

الصـــــوت : لمن ينتقم؟

كيشـــــوت : للضعفاء!

الصـــــوت : ومن يسعد؟

كيشـــــوت : الحزانى!

الصـــــوت : ماذا تساوى حياته؟

كيشـــــوت : مخاطرته بها!

الصـــــوت : وما هو هدفه؟

كيشـــــوت : العدالة!

" يقف معتدلاً في مواجهة الجمهور، متهلل الوجه"

الصـــــوت : الحكم بعد المداولة! **"نفخة بوق. من أعماق المكتبة تنسلخ خمسة كتب، أي خمس شخصيات تخرج أقدامها وأذرعتها من تجليداتها. ثم تجرى مجتمعة نحو مقدمة المسرح في أحد الجانبين وتتوقف وهي تتهامس". " نفخة بوق. الكتب الخمسة تستدير ناحية دون كيشـــــوت"**

الصـــــوت : الحكم! **" نفخة بوق"**

كورس الكتـــب: كن كما ينبغي أن تكون!

كيشـــــوت : باسم المـــــارد مرجان، من حمل ثقل العالم، أقسم أن أكون كما ينبغي أن أكون!

الصـــــوت : الحرس الخاص!

" الكتب الثلاثة التي كانت تقف حرساً بالقرب من دون كيشـــوت تجرى في مقدمة المسرح نحو الحديقة وتبدأ في التصويب على حبل مركب تتدلى منه أقواس. وبينما يصوبون على الحبل يتطاولون

على كومة الحديد التى كان الحــلاق مغروساً فيها عند رفع الستار. وبينما يتطاولون تتخذ كومة الحديد شكل خوذة غريبة حيث تتشابك أجزاؤها الغريبة بخيوط كثيرة. وهنا تقود الكتب الثلاثة دون كيشــوت فى احتفال مهيب أمام هذه الخوذة وتجتهد فى أحكام الزى على جسده بينما الكتب الخمسة الأخرى وهى تفرد أوراق غلافها على هيئة أجنحة تنشد فى جوقة على أنغام حزينة".

الكـــورس : الفارس الشجاع جسده هو درعه ودرعه هو جسده.. الفارس الشجاع خوذته هى رقبته، ورقبته هى خوذته.الفارس الشجاع ذراعه هو سيفه وسيفه هو ذراعه.شجاعة الفارس أهم من زى الفرسان الشجعان.كبرياؤه فى قفازه، جراءته خارج أرضه. الفارس الشجاع متى وضع ركبته فى الركبة، وفخذه فى السترة وقدمه على الحصان، لا يمكن أن يهزم! **"دون كيشــوت يحتمى الآن بالدرع المصنوع من النحاس والمعدن. وقد أدرك أن فخذه اليسرى غير محمية".**

كيشـــوت : وهكذا! يتبقى نصف كيشــوت.. نعم! نصف

كيشـــــوت! ألا ترون أن هذا الفخذ بغير سترة نقطة ضعف يمكن أن يستغلها العدو؟.. أنت يا حلاق! نصف كيشـــوت الأيسر! ماذا فعلت فى نصف كيشـــوت الآخر؟ يا حلاق! هيه!

المربيـــــــة : " **للحلاق داخل كتابه** " ألا تسمعه يناديك؟

الحـــــــلاق : من أنا؟ أنا أصم كالكتــــــاب!

كيشـــــوت : حلاق فاجر! خطأ جاهل من الممكن أن يجعل أقوى فخذ لأشجع فارس كما لو كان كعب أسيل. " **أحد الكتب يتقدم حاملاً رمحاً، يضعه فى كف دون كيشـــــوت**".

الكتـــــاب : الرمح!

كيشـــــوت : نعم! الرمح!.. لكن أين كيشـــوت الأيسر! " **كتاب آخر يتقدم بالخوذة ويضعها على رأس دون كيشـــوت** "

الكتـــــاب : الخوذة!

كيشـــــوت: الخوذة! الخوذة! ليست هى التى ستغطى فخذى..

المربيـــــــة : " **داخل كتابها** " لا أحد يعرفها؟ لا بد من المحاولة على الأقل.. " **كتاب آخر يتقدم بمحبرة وريشة** "

الكتـــــاب : والآن أيها الفارس، جاءت الساعة التى ينبغى أن

تعلن فيها بصـــــــوت مرتفع إسمك الحربى.

كيشـــــوت: إسمى الحربى! هذا هو الوقت المناسب! إن كنت لا أعـرف بعـد إسم الشىء الذى سيحمى فخذى الأيسر!

الأصـــوات : إسمك الحربى أيها الفارس.

كيشـــــوت: " **مخاطباً جمهور الصالة** " لحظة واحدة، لا يمكن لفارس شجاع أن يحقق المجد بكيشـوت واحد.. يا حلاق احضر كيشوت لسيدك!

الحـــــلاق : كيشـوت! كيشـوت! ها هو كيشوت صلب يحطم رأسك! اذهب إلى الشيطان يا سنيور دون كيشـوت! **دون كيشوت يتسمر فى مكانه كالمصعوق** "

كيشـــــوت: دون ماذا؟

الحـــــلاق: كيشوت!

كيشـــــوت: حسن! يا ساحر السوء، إحترس أنا لا أضحك للشتائم التى تسبنى.

الكتـــــاب: للمرة الأخيرة أيها الفارس، ما هو اسمك الحربى؟

كـيشـــــوت: " **وهو لا يزال واقعاً تحت تأثير الإهانة** " دون كيشـوت! دون كيشـوت! " **يتردد الإسم كرجع صدى**: دون كيشـوت! دون كيشـوت! دون

كيشــوت "

الكتـــــاب: نعلن أن هذا الإسم الحربى مكتوب من الآن وإلى الأبد في سجل الأجيال القادمة.

كيشـــــوت: هيه؟ ماذا؟ أى إسم؟

الكتـــــاب: دون كيشـــوت!

كيشـــــوت: دون كيشـــوت؟ الأجيال القادمة؟. هيه!.." **يهرع إلى مقدمة المسرح وهو يصيح** " هو! انتظروا لحظة يا سادة..

الأصــــوات : كتب " **نفخة بوق** "

كيشـــــوت: " **مستسلماً** " طالما كتب!. دون كيشـــوت!.. ولا زلت أفكر في أن مـا ينقص فـخـذى هو الذى سيغطى مجدى! دون كيشـــوت! أى نعم هذا هو الإسم الذى يمكن أن يصـيـر يومـاً إسم رب الإمـبـراطورية!.. دون كـيـشـــوت! هناك شيء.. شيء جميل عـالى وعظيم يتردد بداخلى. شيء من الممكن أن يكون أنا! و" **يسمع صـــوت صهيل حاد** " تتعجلنى، حاضر يا جوادى، حالاً تشتعل الأرض تحت حوافرك بنار المعـارك، حـالاً يدخل الريح في خياشيمك رائحة إنتصاراتنا.." **يتجدد**

الصهيل " طيب، طيب، لا تتعجل يا ملك الفرسان الشجعان، يا أعظم من جواد نابليون، يا عطشان معارك أكثر من جواد الإسكندر، آه يا جوادى، من بين كل الجياد أنت فرفورى..

الكتـــــــاب : " **لحامل المحبرة** " فرفور!

كيشـــــــوت : " **للكتاب** " هيه؟ ماذا ؟

الكتـــــــاب : أكتب للأجيال المقبلة إسم فرسك، يا فارس الفرسان، فرفور!

كيشـــــــوت : فرفور!

الكتـــــــاب : أليس هو الإسم الذى أطلقته الآن؟

كيشـــــــوت : لكن..

الكتـــــــاب : لكن ماذا. لقد كتب" **نفخة بوق ثم صهيل** "

كيشـــــــوت : لا تعارض يا فرسى! لقد كتب! لقد بدأ القدر مسيرته ونحن وراءه! لا توجد قوة تمنعنى من أن أكون دون كيشـــــوت أو تمنعك من أن تكون فرفور، فرفور، هذا هو إسمك!" **صهيل** " ليس كصوت الفرس المجنح الذى يستعد لضرب كل شياطين الأرض؟ ستفيدنى فى الليل وفى النهار! لا أتمنى أكثر من هذا! وبما أن الأمنيات العظيمة

تهبط من أعلى، أستطيع القول بأنك هبطت من السماء يا فرفور!" **صهيل جديد وشديد** " ".

بينما يتدلى من الأقواس شكل معدنى مشبك وغريب على هيئة جواد غير مجسد" ها هو! أريد أن أصعد ! " **الكتب تهرول وترفعه إلى الجواد، بينما ينطلق النفير ويجد نفسه فوق الجواد فى مواجهة الجمهور** " انظروا كيف إرتفعت فى لحظة! أشعر أنى هنا بعيداً! وكأن الدنيا تنام من تحتى كبطن القرية. كل الأشياء هنا واضحة. أقل شىء أصغر شىء.. أشعر يا سادة أن شيئاً لا ينقصنى!.

" راعية غنم ممزقة الثياب ولكنها تتمتع بوجه غاية فى الجمال تدخل من مقدمة المسرح وتخترق المسرح وهى تغنى"

لو كنت أملك ثلاثة خنازير يا أمى.. لأحبنى الوزير.

لو كنت أملك عشرة خنازير يا عمى.. لأحبنى الأمير

لو كنت أملك مائة خنزير يا قلبى.. لأحبنى الملك.

دون كيشوت يمعن النظر إلى الأمام ويصدر آهة. تتسمر الراعية في الحال كتمثال. الكتب تهرع ناحية دون كيشوت "

الكتاب الأول : ماذا هناك يا مولاى؟

كيشوت : لاشيء!

الثانى : هل تتألم؟

كيشوت : لا.. يعنى.. التعب العادى لكل فارس شجاع.. آه!

الثالث : لكن يا مولاى!

كيشوت : أحب! كدت أنسى أنى أحب! آه يا له من حب يسرى فى الجسد دفعة واحدة..

" **والراعية تضحك ضحكة بلهاء. دون كيشوت يدير رأسه ناحيتها** "نعم، نعم، اضحكى أنت التى نبهتينى! اضحكى مادام هذا هو سلاحك! سأحارب وأعود إليك مليئاً بالمجد! "**الراعية تتمادى فى الضحك** " اضحكى! إشفى بالضحكة الصافية غليل الفارس الواقف على عتبة المجهول. وأعدك بأنى لن أشرب من أى نبع حتى لو تعرضت للموت إلا إذا كان صافياً مثل ضحكتك، صابحاً مثل شفتيك." **تضحك مرة**

أخـــرى نفس الضـــحكة " الوداع يا أملى، يا من أنتظرها منذ مولدى، أسلمك الآن كل ما تبقى من عـمرى.. الـوداع يا أمل المخـاطر والبطولـة، يا أمـل الثـروة العظيـمـة، اذكـرى الفـارس الشـجـاع دون كيشـوت من يملك العـالم ولا يملكه غـيرك" **بلهجة ساذجة**" ما اسمك؟" **تنطلق ضاحكة وهى تخرج** " مـا اسـمـهـا آه أيهـا الـشـيطان الملعـون! لماذا تصم أذنى! كيف أحبها وأنـا لا أعرف اسمـهـا ؟ يا ربى! هل هو صـافـى؟ هل هو بوسى؟ هل هو فـوفى؟ ربما هذا! أبداً ليس هو! إذن شىء آخر، اسـمـهـا ليس له مثيـل وجمـالها ليس له شبيـه.. التـاج اللولى لا يصـبـح تاجـاً إلا عـلى شـعـرها الحـريـر، الجـواهر والماسات لا تـكتسب بريقاً إلا وهى فوق جيدها! يا أمل شهرتى يا إسماً من نور، لا يطلق إلا عليك

صـــــــوت : لوسى..

كيشـــــــوت : لا! هو اسم من نور باهر..

صـــــــوت : لوسيا..

كيشـــــــوت : لا! من نور باهر وسماوى..

صـــــــوت : دولس..

كيشـــــــــوت : نعم.. لكن من النور الذى يغير الروح..

صـــوت الراعيـة : دولسينا!" **فترة صمت** "

كيشـــــــــوت : " **يظل جامداً** " الآن عرفت الإسم الذى نطقته.. سمعته.. لن تتمكن أيها الشيطان اللعين من قتل ما تناهى إلى أذنى! دولسينا! دولسينا!

الأصـــــــوات : كُتب. " **أبواق** "

كيشـــــــــوت : والآن أيها السادة، لا شيء ينقصنى! وبضربة واحدة سيفتح الطريق أمامى.. " **كل الكتب المدلاة تبدأ فى التحليق ناحية الأقواس** ".. والحواجز والستائر والأبواب والجدران كل شيء سيقع وينهار! أنا الآن طليق يا فرفور طليق وراء الجبل والسفح والسهل والنهر! وأبعد من هذا! أبعد! وسأعرف فى النهاية ما هو أبعد من ذلك.

إظلام

" **بروجكتور يضيء براتيكابل ناحية الفناء. فوق البراتيكابل يقف سانشـــو وتيريـــز**"

سـانشـــــــــو : ما هو أبعد من ذلك لا يعنينا.. العقل يا زوجتى، العقل يقول أن مصلحتنا تقف عند طرف خرطومنا" **يشير إلى أنفه**

تيريـــــــز : معنى هذا يا سانشـــــــو يا زوجى أن خرطومك قصير جداً..

سانشـــــــو : لا يوجد أطول منه.

تيريـــــــز : طيب! وفر صحتك لأولادك.

سانشـــــــو : وممَ يشكون! صحتى هى ثروتى..

تيريـــــــز : هل رأيت ما يتبقى من بطن مفتوح؟

سانشـــــــو : كلا! هل ترين يا زوجتى العزيزة إنى ناضج بما فيه الكفاية حتى أوضع فى صندوق المـوتى؟

تيريـــــــز : قراءة العواقب من حسنات الزوجـــــة المخلصة.

سانشـــــــو : عندك حق يا سيدى، أما إذا كنت تطمعين فى موتى ولهذا تريدين أن أشترى الخمسة أفدنة، فتأكدى أنى لست متعاطفاً مع هذه الأرض.

تيريـــــــز : حقاً!

سانشـــــــو : حقاً، ماذا؟

تيريـــــــز : أعلم جيداً ما لا يروقك فى هذه الأفدنة الخمسة!

سانشـــــــو : ياسيدتى ، لا يروقنى أن أشتريها ، هذا هو السبب!

تيريـــــــز : لا يروقك أن تشتريها أم أن تملكها!

سانشـــــــو : العقل يا سيدتى ماذا أفعل بهذه المساحة؟

تيريــــــــــز : تزرعها يا روحى!

سانشـــــــــو : أزرعها إنها أرض بور!

تيريــــــــــز : لديك محراث!

سانشـــــــــو : عظيم! ها هى الأفكار النيرة للسيدات النيرات!

" إلى المحراث يا سيد سانشـو، إلى المحراث "!

تيريــــــــــز : يا لها من فلسفة تلك التى تدعـوك للنوم فى وضح النهار

سانشـــــــــو : لا أحب المغامرة فى الليل! الظلام يخيفنى!

تيريــــــــــز : جبان!

سانشـــــــــو : نعم، يا حبى، أنا جبان، وأتمتع ببعض الحسنات من نفس النوع الذى يجلب السعادة!

تيريــــــــــز : وأنانى!

سانشـــــــــو : وأنانى.. أيضاً!

تيريــــــــــز : آه، لو جاء إبليس وطرق بابنا لأسلمتك إليـه حتى تتحول إلى جمرة نار فى جحيمه.

سانشـــــــــو : أحب الدفء!

" ضـرب على البـاب. فـتـرة صـمت. سـانشــــو وتيريـــز يتـوقفـان بلا حراك. سـانشـــــــو ينظر ناحيـة البـاب فى حيـرة" أحب الدفء.. فى

الظل.. على أن أحتسى شيئاً بارداً" **الضربات تزداد** "

تيريـــــــــز : وبعد! افتح..

سانشـــــــو : ولماذا أنا؟ أنا لست اجتماعياً، وحافى القدمين وأنت الأقرب إلى الباب.. ثلاثة أسباب تجعلك تتحركين لتفتحى أنت.." **الضربات من جديد. تيريـــــــــز تتجه نحو الباب. فى إطار الباب يظهر دون كيشـــــــوت كالخيال. تيريـــــــــز تصرخ** ".

تيريـــــــــز : آه!" **تهرول نحو سانشـــــو**"

سانشـــــــو : " **مرتعداً، يقول بصوت منخفض لتيريـــز** " ذكرت اسم إبليس؟!

كيشـــــــوت : من أنتما؟

سانشـــــــو : دون أن نعنى إهانتك، أليس من الأفضل أن يقدم الضيف نفسه أولاً؟

كيشـــــــوت : الضيف؟ أليس هذا واضحاً، أم ماذا؟

سانشـــــــو : واضح! لكن أمام الشرف الزائد، يغلب الشك!

كيشـــــــوت : لا مجال للشك! أنا هو أنا!

تيريـــــــــز : فى الحقيقة.

كيشـــــــوت : فى الحقيقة.. أنا مفيد جداً..

تيـريــــــــز : لا، لا! لا أريد أى خدمـة.. أنا سـعيـد هكذا، وأيضـاً أحب سانشـــــــــو هذا من كل قلبى، وأحتاج له كما أحتاج للهواء.. سامحنى إذا كنت قد غيرت طريقك.

كيشـــــوت : لا أحد يستطيع أن يغير طريق الفرسان الشجعان يا سيـدتى.. هذه الطرق مستقيمة فى العادة وإذا اعوجت بالصدفة علينا أن نعيدها إلى الإستقامة.

سانشــــــو : الفارس الشجاع؟

كيشـــــوت : بالعناية الإلهية!

سانشــــــو : يعنى لست..

كيشـــــوت : فكر فيمن لا أكون وأنت تستطيع أن تعرف من أكون؟

سانشــــــــو : كم أنا أبله حقـاً! أرى جيـداً أنك الفارس الشجاع! لست ضريراً حتى أعتقد أنك إبليس. إذا كنت الشيطان كنت سأرى جيداً أنك الشيطان! لكن أى شـــيطان ذلك الذى يجىء لزيارتى فى بيتى.. كان سيحكم على نفسه بالهلاك. وكنت سأحيله إلى شيطان أبله، وأعذبه عذاب الشيطان نفسه.. مسكين هذا الشيطان.

كيشـــــوت : تسعدنى هذه الشجاعة..

سانشــــــو : شجاعتى فى خدمتك يا سيدى الفارس الشجاع.

كيشـــــوت : فى كل شيء؟

سانشــــــو : جرب، ماذا أستطيع أن أفعل؟

كيشـــــوت : أسق جوادى..

تيريـــــز : إذا كان هذا هو الإمتحان فسأثبت شجاعتى حقاً.

سانشــــــو : " **يناول زوجته جردلاً** " إسقى جواد الفارس.

تيريـــــز : ضرورى شجاعتك تصيبنى أنا بالأذى.. " **تيريـــز تأخـذ الجـردل من يد سـانشـــو وتخـرج. دون كـيـشـــوت يمعن النظر فى سـانشــو الذى لا يدرى كيف يتصرف** ".

كيشـــــوت : كلما نظرت إليك.. كلما.. قل لى يا سيد سانشـــو، آلا تحس فى داخلك بروح الحكم؟

سانشــــــو : الحكم؟

كيشـــوت : تحكم؟!

سانشــــــو : يا إلهى، كيف عرفت هذا، سيدى الشجاع؟

كيشـــــوت : من فخذك.

سانشــــو : سل زوجتى،لا أكف عن ترديد قولى أمامها " لو كنت على رأس حكومة ".

كيشــــــــوت : ما رأيك فى جزيرة؟

سانشـــــــو : أفندم!

كيشــــــــوت : جزيرة! لو منحتك جزيرة !

سانشـــــــو : لماذا ؟

كيشــــــــوت : لتحكمها..

سانشـــــــو : تريد أن تقول جزيرة. عليها بشر؟

كيشــــــــوت : جزيرة مليئة بالبشر.

سانشـــــــو : بشر.. أحياء؟

كيشــــــــوت : أعتقد أنه لا يحكم غير البشر.. الأحياء.

سانشـــــــو: هيه! لو حكمت أحياء فوق جزيرة، أؤكد لك إنه لن تبقى بوصة واحدة من الأرض بور! لن ينام فى فراشه كافر واحد، ولن يستمتع جبان واحد بملذات الحياة! ولتشهد عليّ السماء.. لن أستمتع بيوم أجازة إلا عندما تدخل خزائنى آخر خردلة من ذهب الجزيرة.. وعندما أصبح ثرياً، ثرياً بالفعل، أعلن الحرب حرب المال والأمجاد!

كيشــــــــوت : منحتك إياها.

سانشـــــــو : الأمجاد ؟

كيشــــــــوت : الجزيرة.. يعنى المال والأمجاد والحكم دفعة

واحدة.

سانشـــــو : لا، أنت تسخر منى!

كيشـــوت : شكلى يوحى لك بأنى أمزح؟

سانشـــــو : بالطبع لا.

كيشـــوت : إنى أمنحك هذه الجزيرة يا سانشـــــو.

سانشـــــو : معنى هذا إنك ثرى مثلما أنت طيب هكذا ؟

كيشـــوت : هذا العالم كله ملكى.

سانشـــــو : فى هذه الحالة أقبل الجزيرة دون أن أخشى الخطأ.. أين الجزيرة؟

كيشـــوت : سأسلمها لك بنفسى بمجرد غزوها.

سانشـــــو : آه! طيب.. لأن الجزيرة.. فى الوقت الحاضر!

كيشـــوت : فى الوقت الحاضر، هى لك.

سانشـــــو : لا يمنع!

كيشـــوت : ليس هناك أسهل من غزو جزيرة يا عزيزى.

سانشـــــو : أصدقك يا عزيزى.

كيشـــوت : خاصة إذا كان المرء يتمتع" **يشير إلى رأسه** "

سانشـــــو : حقاً! كان أبى يقول: فكرة فى اليد تشبه الريح، لكن ريحاً فى الرأس يمكنها أن تتحول إلى فكرة.

كيشـــــوت : أبوك كان عاقلاً! إتبع نصائحه يا سانشــو! عندما تستطيع بأفكارى أن تذبح العشرين أو الثلاثين ماردأً وحارساً..

سانشـــــو : نحن؟

كيشـــــوت : أريد أن أقول " أنا ! " عموماً لا أستطيع أن أمنحك شرف القتال إلى جانبى.. لم يحدث أن خاض تابع معارك سيده.

سانشـــــو : سيده؟!" يومئ " هذه هى الفروسية وإلاّ فلا. الأتباع دائماً ما يفسدون كل شيء.. لكن لو سمحت يا سيدى، عن أى تابع تتكلم؟

كيشـــــوت : عنك يا سانشـــو!

سانشـــــو : عنى؟

كيشـــــوت : تعتقد أنى سأمنحك جزيرة حباً فى عينيك؟ كل شيء له ثمن، يا سيد سانشـــو، كل شيء بثمنه..

سانشـــــو : الكارثة يا سيدى الشجاع، إنى لا أحب أن أكون تابعاً..

كيشـــــوت : لا يهم! فأنا لا أحب أن أكون مبالغاً فى مطالبى، ويسعدنى أن يكون تابعى غير راغب فى أن يكون تابعاً.

سانشـــــــــو : معذرة يا سيدى، فأنا لا يسعدنى أبداً أن أكون تابعاً.

كيشـــــــوت : هذه مشكلتك أنت! خاصة وأنك لن تخدمنى مجاناً..

سانشـــــــو : مهلاً! لم تتم الصفقة بعد..

كيشـــــــوت : الصفقة! أين قرأت أن فارساً خرج ذات مرة ليعقد صفقة.. ليست لدى فكرة لعقد صفقة على الإطلاق، يا سيد سانشـــو.. خذ " خرجك " واتبعنى!

سانشـــــــو : يا لها من فكرة مروعة! متى وأين قرأت أنى أريد أن أكون تابعاً؟

كيشـــــــوت : ليس لدى تابع، ولا يصح أن يكون هناك فارس بغير تابع. لأن الفارس بغير تابع كالحساء بغير إناء..

سانشـــــــو : يا سلام! لكن هناك آنية كثيرة أخرى تملأ الدنيا!

كيشـــــــوت : أنت الذى اخترته!

سانشـــــــو : ولماذا هذا العناد؟

كيشـــــــوت : لأنى أفكر فى المستقبل، وأنت الوحيد الذى

يملك عقل وموهبة الحاكم! " **تدخل تيريــز وهى تحمل الجردل** "

تيريـــــــــز : وجـدت أمـام البـيت خليطاً من الوبر والحـديد والعرق ومنخاراً يفرز دخاناً. يخيل إلى أنه فرس! على كل حال، أستطيع القول بأنه شرب دفعة واحدة إثنى عشر جردلاً، وأنه كان متسيباً باستمرار وهو يشرب..

كيشـــــــوت : لا تقلقى، معدة فرسى منظمة تماماً.. فهو يطرد فى اليوم التالى ما شربه فى اليوم السابق.. نعم يا سيد سانشـــو.. هل أنت قادم؟

تيريـــــــــز : "لسانشـــو" هيه! مهلاً! إلى أين؟

سانشـــــــو : أتسلم جزيرتنا يا حبى!

تيريـــــــــز : جزيرتنا!

سانشـــــــو : سلى الفارس الشجاع!

كيشـــــــوت : صح! فليظل تابعاً لى ثلاثة شهور فقط وأنا أجعل منه حاكماً.

تيريـــــــــز : ماذا؟ ويتركنى وحدى مع الأطفال العشرة؟ لا يمكن، مستحيل! لسنا فى حاجة إلى جزيرتك.. ولا داعى لوضع هذه الأفكار الجنوبيــة فى رأس

رجل لا يملك الشجاعة لحرث أرضه..

سانشـــــــــو : رأيت! زوجتى لا توافق! وبما أنهـا هى التى تنظم البيت

تيريـــــــــز : من يحملك شرب جيداً، يا سيدنا الفارس.. ندعو لك بأن يتحول الحجر تحت قدميك إلى باقة من الورد.. تحياتنا لك..

كيشـــــــوت : طيب! ولكن لا يصح أن يتناقش فارس مع سيدة الوداع إذن.. سأمر غداً أمام المفرق القريب من هنا..

سانشـــــــو : شكراً أيها الفارس الشجاع.!

كيشـــــــوت : شكراً لك يا سيد سانشـو.. لن تكون حاكماً طالما ترفض أن تكون تابعاً! لن تكون تابعاً ولا حاكماً! ولهذا سيظل العالم فارغاً، أقول لك فارغاً وسأظل وحدى.. " **دون كيشـــوت يخرج حـزيناً. سـانشـــو وتيـريـــز ينفـجـران ضاحكين".**

إظلام

" طوال الإظلام ضـحكات سـانشـــو وتيـريـــز تستـمر وتزداد، وتسمع ضـحكات أخرى كثـيرة

ومتنوعة حتى يتكون حشد غفير يملأ المساحة التى تكشف عنها الأضواء. وترى سيدة تهرول من الكواليس وقد ارتدت ملابس غريبة وكاباً أسود بلا أكمام محلى بالأحجار، وتضع على رأسها تاجاً ضخماً.مجموعة من الرجال تتبعها وهى تنفخ فى النفير وهى تضرب على الطبل. ترتدى المجموعة ملابس رثة تقف السيدة على مرتفع بينما تظل المجموعة فى المستوى الأدنى. يسلط الضوء على وجهها فتكتشف وجهاً عنيفاً ودميماً"

الرجـــــل الأول: ليس إلى هذا العلو، أيتها الساحرة، ستقعى فى السماء!" **الآخرون يضحكون ولكن بطريقة هزيلة حتى ينتهون إلى حلقة راقصة تجمع بين الملهاة والمأساة حيث يصبح الرجل وسط عبارات تلقى بطريقة ضاحكة وهم يلتفون حول المستوى العلوى الذى تقف عليه السيدة".**

الحّمـــــــارون: " **وهم يتبادلون العبارات** " هيه! الحمارون إختاروا مليكتهم! هيه! معطف الملكة على كتفى الحية.تحت القلب، الملكة الجديدة. هيه! بطون

الحمارين مليئة بالألم هيه! من قيظ هذه الليلة.
هيه! طريق الحمارين يوصل للجنة.
هيه! الجنة! لا أحد غير الحمار يعرف الجنة! الملكة..
- الفأر ــ
هيه! معطف الحية على جسد الملكة! " **الجميع يرقصون فى حلقة ويطلقون صفيراً، بينما تدخل امرأتان على المستوى الأول، جميلتان ولكنهما توحيان بأنهما من بنات الهوى**"

المرأة الأولى: هيه! هيه! يا قديس القرون!
الثانية : ليحترق العلم الذى ينتزع الرغيف من أفواهنا!
خمّار : السماء تصنع ما يفرزه الليل لنا!
الأولى : " **إلى فتاة صغيرة** " انزعى القناع، انزعيه!
الثانية : إذا لم تسقط الفاكهة، سننزعها نحن!
الأولى : الفاكهة لا تزال خضراء! لن تسقط!
الثانية : وأنا أقول أنها سويت! هيا نقطفها!
الفتاة : " **تصيح** " أين أذهب؟
الأولى : تعتقدين أنك كنز! يظن الحمارة إنك جميلة ومليئة بالحرارة لأنهم سكارى. الحمارة يطلبونك! هيا! أذهبى لن تجدى فرصة فى حياتك أفضل من هذه.
الفتاة : " **تهمهم** " لا!" **تهم بالهروب فتمسك بها المرأة الثانية**".

الثانـــــية : هيه! معطف الملكة على جسد الحية! " **المرأتان تجذبان الفتاة من كتفيها** "

الأولـــــى : هاهى فاكهة عطشكم يا أعزائى!

الثانـــــية : ولا تنسوا أننا جميلات وكلنا جراءة! **المرأتان تدفعان الفتاة إلى أسفل. جموع الحمارين تندفع نحوهما وهم يصيحون**"

الحمـــــارون : هيه! " **فى عمق الخشبة يظهر فجأة فى حزمة ضوئية قوية كيشـوت معتلياً جواده**"

كيشـــوت : هيه! سفله! منحطون! أين سيدكم الذى اختاركم جنوداً له.. هل هذه " **مع صيحة كيشوت يتراجع الحمارون. دون كيشوت يلحظ الفتاة التى دفعها الرجال على الأرض فاقدة الوعى وقد نامت على ثوبها الأسود** ". هى الطريقة التى تعامل بها أميرة؟ هل تريدون إصطحابها إلى سيدكم بعد ذلك؟ لقد جئت فى الوقت المناسب " **يبدأ فى النزول من على صهوة جواده**".

حّمــــار : فى الوقت المناسب كالطاعون.

حمـــار آخـــر : من أين جاء هذا الشبح؟

حمـــار ثـــان : ربما من بخار النبيذ الذى شربناه!

حمـــار رابع : شبح أو لا شبح، سكينى هو الحكم.

كيشـــــوت : كما يقول الفارس تماماً" **يتجه ناحية الحمارين وينظر إلى الفتـاة ثم يتوجه بحديثه إلى الحمـارين** " اصطفوا صفين إحتراماً لجلال الإحتفال! "**يصطفون على جانبى الفتـاة المطروحة أرضـاً** " طأطئوا رؤوسكم إحتراماً للفتاة الجميلة. ثم افعلوا كما أقول لكم" **الحمـارون ينحنون ببطء**" مدوا أيديكم تحت جسد ورأس الأميرة! حاذروا! بغير خشونة! هيا ، أيديكم منبسطة، أيديكم منبسطة." **الحمارون يمدون أيديهم مفرودة تحت جسد الفتاة** " ارفعوها ببطء كأنكم تقدمونها للسماء! هيا يا أصدقائى هيا! " **الحمارون يحملون الفتاة** " والآن سيروا ببطء فى موكب على طريق قصر أميركم.. ببطء لكن بسرعة، لأن الأمير ينتظركم، ولأن كل لحظة حب ضائعة تعد خطوة كبيرة نحو الموت.. هيا أيها الجنود، هيا ولا تنسوا أن تقولوا للأمير أن الفضل فى عودة حبيبته فى حالة طيبة وبالأصول يرجع لدون كيشـوت دولامانشا الفارس المحجب.. إلى الأمام أيها الجنود! " **الحمـارون يحملون الفتـاة**

ويسيرون فى خطوات بطيئة كأنهم فى موكب" أيها القمر هل أضأت موكباً أكثر من هذا؟ الموكب من صنعى أنا، لكن هذا لا يساوى ما ينتظره العالم من.." **الفتاتان تضحكان بحيث تجعلان موكب الحمارين يضج بالضحك فينظر إليهما دون كيشوت"**. إن لم يكن جمالكن يكشف عن أدبكن لاعتبرت ضحكتكن قلة أدب

المرأة الأولى: وما هذا؟ أليس مسموحاً بالضحك؟

المرأة الثانية: الضحك دليل براءة الآنسات مثيلاتنا.

كيشوت: صحيح! تلك إجابة مقنعة.. وطالما اخترتن السعادة ربة لكن، فالمفترض إنكن نبيلات.. "

المرأتان تقتربان من دون كيشوت "

المرأة الأولى: تسمح سعادتك بأن تزن نبلنا عن قرب.

كيشوت : ماذا تريد أن تقول؟

المرأة الأولى : ألا تعلم سعادتك أن قيمة نبل السيدات تقاس بوزن أفخادهن؟

كيشوت : لا، لا أعلم أبداً هذا الموضوع.!

المرأة الأولى : ها هو شىء يجب أن تتعلمه أيها الفارس.

المـــــرأة الثانـــية : هذا الشيء وأشياء أخرى كثيرة.

المـــــرأة الأولى: الدروس التى نعطيها تساوى ثمناً، وكل النقود التى نكسبها ننفقها على أعمالنا.

كيشـــــوت: أى أعمال، لو سمحت؟

المـــــرأة الثانـــيه: أعمالنا يا فارسنا! أفضل الأعمال!.

كيشـــــوت: تقصدين عمل الخير حتى لا تتعذب الإنسانية..

المـــــرأة الأولى: طبعاً، ماذا إذن؟

كيشـــــوت: فى هذه الحالة أنا مستعد لتلقى دروسكن." **يأخذانه إلى الكواليس، تنطلق فجأة همهمات امرأة وأصوات رجال"**

صـــــوت إمرأه: النجدة! لا!الموت أهون!

صـــــوت رجال: إحذر! أسنانها، أسنان دب!

كيشـــــوت: ما هذا؟

المـــــرأة الأولى: لا شىء يا فارس قلبى!

كيشـــــوت: لا شىء.. كيف؟

المـــــرأة الثانـــية: أؤكد لك، لا تهتم إلا برعايتنا الغالية.

كيشـــــوت: آسف يا سيدتى! سأعود لتلقى الدرس فيما بعد" **يخرج فى إتجاه الصياح ورمحه فى يده "**

المـــــرأة الأولى : حمارو الشيطان! أضاعوا من أيدينا صيد الليلة!

كيشـــــــوت : " **فى الكواليس** " سيفى ذراعى! سأقتل عشرة على الأقل فى هذه المعركة. " **فى الكواليس صيحات معركة**

اظلام "

إضاءه على مستوى جانبى يبين منزل سانشو، سرير. سانشـــو وتيريـز - أثناء الليل. لمبة غاز تتواتر وتهتز".

تيريـــــز : هيه! سيد سانشـــــو!

سانشـــــو : هيه!

تيريـــــز : تنام؟

سانشـــــو : نعم.. وأنت مدام سانشـــــو؟

تيريـــــز : مثلك!

سانشـــــو : نامى جيداً! الليل قصير" **فترة صمت** "

تيريـــــز : سيد سانشـــــو؟

سانشـــــو : نعم!

تيريـــــز : ماهو الصواب فى رأيك؟ حاكم أم حاكمة؟؟

سانشـــــو : يخيل إلىَ حاكم" **فترة صمت** " وربما حاكمة. **"فترة صمت"**

تيريـــــز : وربما حكمه" **فترة صمت"**

سانشـــــــو : المفروض الحاكم هو الذى يختار، أم ماذا ؟

تيريـــــــز : ماذا تختار أنت؟ حكمه أم حاكمة؟

سانشـــــــو : حاكمة تسمع أفضل" **فترة صمت** ".

تيريـــــــز : إذن أنت تختار حاكمة؟

سانشـــــــو : أو حكمه،" **فترة صمت** ".

تيريـــــــز : حكمة، أليست جيدة هى الأخرى؟ تقول شيئاً.

سانشـــــــو : ترين أن حكمه تقول شيئاً؟

تيريـــــــز : أكثر من حاكمه!" **فترة صمت** "

سانشـــــــو : الأحلام جنون!

تيريـــــــز : هيه! متى تنام؟ هيا نم!

سانشـــــــو : حفظنا الله! لننم!

تيريـــــــز : أصبحت على خير، سيد سانشـــــــو!

سانشـــــــو : نامى جيداً مدام سانشـــــــو" **صمت طويل**"

تيريـــــــز : " **وهى تهمهم**" حاكم، حاكمة، حكمه.

إظلام

" الليل - المشهد يضيئه ضوء القمر - دون كيشـــــــوت يدخل حاملاً الفتاة فى بالطو الملكة. يصعد بها حتى المستوى الأعلى - يضع

الفتاة على الأرضية وينحنى فوقها"

كيشـــــــوت: باسم الفروسية أقسم على أنها لن تخاف من شيء بعد الآن. فاذا لم أكن قد قضيت على جميع الخونة، فقد أسقطت أسنانهم فى حلوقهم وكسرت ضلوعهم فى جوانبهم! هيه؟ أيتها الأميرة! أفيقى حتى تحيى انتصارى! وإن كان المفروض أن أرفض الثناء على حسب تقاليد الفروسية.. ولكن كيف أرفض الثناء إن لم أجد من يحيينى أصلاً؟ السماء تستجيب! ها هي روحك تعود! روحك تعود!

الفتـــــــاة : آه! لا!

كيشـــــــوت : روحك! روحك!

الفتـــــــاة : لا! لا!

كيشـــــــوت : " **جانباً** " ما هذا، مربيتها لم تعلمها غير لغة العرس هذه؟" **للفتاة** " قلت لك لا داعى للخوف ولا داعى للشكوك.

الفتـــــــاة : من أنت؟ من.. أنت؟

كيشـــــــوت : السؤال الأول: أنا الفارس دون كيشـــوت، من أخذ عهداً على نفسه أن يتصدى لكل خطأ وأن يجعل من العدالة شيئاً مفيداً.. وأعتقد أن هذا ما فعلته

معك بالضبط.. فقط قولى من هو هذا الغادر؟
إسم هذا الوغد لو سمحت

الفتـــــــاة : أي وغد؟

كيشــــــوت : من أمر باختطافك! الكافر الذى يتبعه هؤلاء الجنود.

الفتـــــــاة : أي جنود؟

كيشــــــوت : المتوحشون الذين تصديت لهم الآن.

الفتـــــــاة : لا أشك فى أنك تتكلم عن الحمارة.

كيشــــــوت : أى حمارة؟

الفتـــــــاة : السكارى الذين كانوا يريدون..

كيشــــــوت : هؤلاء السكارى، إنهم جنود.

الفتـــــــاة : أبداً، إنهم حمارة.. أنا أعرفهم جيداً.. يجيئون كل ليلة يشربون فى الحانة التى أعمل بها.

كيشــــــوت : مسكينة! الصدمة أخذت بعقلك، فلتنسى هذه الحكاية، سأعيدك حالاً إلى والدك..

الفتـــــــاة : أي والد؟

كيشــــــوت : والدك!

الفتـــــــاة : ليس لى أب.

كيشــــــوت : فهمت! بعد أن مات بنبل عند مفرق الطرق، منحك شرف اليتم!

الفتـــــــاة : أبى كان سائقاً مات من الحزن أمام بئر جافة وهو عاطش.

كـيشـــــــوت : عظيم، عظيم، دعك من هذه الحكاية. أين قصرك إذن يا أميرة؟

الفتـــــــاة : ماذا تسمينى؟

كيشـــــوت : لا تقولى أيضاً أنك لست أميرة!

الفتـــــــاة : إلا إذا كان هذا يضايقك.

كيشـــــوت : لا أحب أيضاً أن أسمع عكس ما ترى عيناى.

الفتـــــــاة : وماذا ترى عيناك؟

كيشـــــوت : على الأقل هذا المعطف المرصع.

الفتـــــــاة : إنه معطف اشتراه الحمارة من ممثلين جوالين.. كل عام فى نفس الموعد يختارون فتاة يضعون عليها المعطف وينصبونها ملكة عليهم.

كيشـــــوت: يا إلهى! كل هذه الحكايات يمكن أن يخترعها عقل مشوش إلى هذا الحد.

الفتـــــــاة : إسمى ماريتورن وأعمل خادمة يا سيدى.

كيشـــــوت : عظيم! فى أى قصر؟

الفتـــــــاة : فى هذه الحانة" **تشير إلى عمق المسرح**"

كيشـــــوت : عظيم! إذا كان يعجبك أن تسمى القصر هكذا.

الفتـــــــاة : أنا عذراء يا سيدى.

كيشـــــوت : وأنا لا أشك فى ذلك مطلقاً.

الفتـــــــاة : المشكلة ليست فى شكك.

كيشـــــوت : إذن!

الفتـــــــاة : خادمة فى مكان مثل هذا يغرى الناس بالتفكير فى أشياء كثيرة. لكنى أحمى فضيلتى بهيئتى القذرة.. ومع هذا كان الحمارة سكارى لدرجة أنهم كانوا..

كيشـــــوت : كفى! ولا كلمة، أرجوك! الهذيان له حدود! لن أدعك تقاومى الطبيعة التى منحتك أفضل ما عندك من فن.. تقولين هيئة قذرة فى الوقت الذى يتمتع فيه وجهك بنقاء الصباح وبريق ضوء الشمس. تقولين هيئة قذرة " **بغضب**" كأن هذا الجمال ليس بك ولك! بأى حق تسببين الخالق الذى خلقه والذى عليك أن تردى له الجميل فى يوم من الأيام؟

الفتـــــــاة : ليس من العدل أن تسخر من فتاة مسكينة مثلى!

كيشـــــوت : أنت، أنت التى أسخر منها، تبحثين عن الطريقة التى تثبتين بها أنى أعمى!

الفتـــــــــاة : هيه أنت هكذا يا سيدى..سل الجميع يقولون لك من أنا..

كيشــــــوت : ولهذا أنا ضد الجميع، فى كل شىء.. أنت جميلة رغم كل شىء، رغم أنف الجميع، دونا ماريتورن

الفتـــــــــاة : دونا؟ ها أنت تسمينى دونا أيضاً!

كيشــــــوت : دونا رغم أنف الجميع. **"ماريتورن تدير وجهها ناحية الضوء الذى يبين هامتها وهيئتها القذرة "**

الفتـــــــــاة : لكن، انظر إلىَّ! تمعن فى جيداً قبل أن يدير القمر وجهه.

كيشــــــوت : إنى أتمعن فيك دونا ماريتورن!" **يقف أمامها ويحجبها عن الجمهور** ".أنظر إليك وعيناى يملؤهما النور" **يربت على وجهها بأطراف أصابعه** " أحلى فاكهة، أجمل من تفاحة الخطيئة، أشبه بالحلم دولسينا! الطاعة لك، دعينى أشرح لك قبل أن يرحل القمر." **يبتعد عنها. تسلط الأضواء من جديد على وجه الفتاة الظاهر للجمهور. وتبدو فجأة وقد تغيرت إلى جمال رائع. فقد خلع عنها قناع الدمامة. إنه فى الحقيقة ذلك الوجه النبيل للفلاحة التى كان دون**

كيشوت قد اختارها فى البداية لتكون دولسينا.
نفس الممثلة تلعب دور الفتاة فتضع القناع".

كيشــــوت : مازلت تقولين أنك دميمة؟

الفتــــاة : القمر لم يكن أبداً مرآة يا سيدى!

كيشــــوت : انظرى إلى عينى" **تمعن النظر فى عينيه** " ماذا تقولين؟

الفتــــاة : أنا كما تحب!

كيشــــوت : أخيراً عاد إليك صوابك! "**يعود إلى الخلف وهو يصيح**" إيه أيها الحارس.. أخفض الجسر.. الفارس دون كيشوت يعيد إلى القصر دونا ماريتورن.

" **صوت الجسر يهبط. صوت النفير. إنتشار الأضواء لتفرش المسرح كله.. الثريات تهبط من سقف المسرح. كرسى عرش ضخم مرصع بالأحجار الكريمة ينزل على المستوى العلوى الرئيسى.. على ناحية مجموعة من النساء ترتدى ملابس أبهه وشعورهن محناة. على الناحية الأخرى مجموعة من الأمراء.. على المرتفع صاحب الجلالة وإلى جانبه زوجته.. كل هذا الحشد رجال يرتدون أزياء غريبة وقمصان طويلة بيضاء مزركشة.. ومع**

هذا فالملابس لا تحدد عصراً معيناً.. المشهد فى مجموعه يوحى باللاواقعية وإنما يوحى بالحلم، دون كيشوت يمسك يد الفتاة وهو على المستوى الأعلى دائما. الجواد يظل فى العمق فى نفس المكان الذى كان فيه دون كيشوت قبل أن يهبط إلى الحمارين، صاحب الجلالة يقف يتجه ناحية دون كيشوت وينفجر ضاحكاً"

كيشوت: مولانا صاحب القصر، لك أن تسعد، ها هى سليمة، بكر

صاحب الحانة: لك الشكر سيدنا الفارس.. ألف شكر، إنها أفضل غسالة قدر.. كنت سأضيق لو..

كيشوت : سأفترض أنكم تسمون حبات الذهب الخالص بهذه التسمية فى قصركم.

صاحب الحانة: ماذا.. نعم.. نعم.. بالضبط.. صحيح، قدرة، ذهب، نفس الشيء، غسالة، حبات هى هى.. لا فرق.. إلى القدر يا ماريتورن.." **الفتاة تخفض رأسها تسارع بالخروج"**

كيشوت : لحظة ! لا أحب يا مولاى أن أتعدى بأحكامى على القصر قصركم.. لكن إذا كنتم تخاطبون

الأميرات بهذه الطريقة فكيف إذن تخاطبون الخدم؟

الزوجـــــة : هيه! أيها الفارس، ماريتورن خا..

صاحب الحـــانة : اهدئى يا سيدتى! أنا الذى يوضح الأمور هنا!

كيشـــوت : كل شيء واضح يا مولاى الفارس، كل شيء واضح! الرقة دائماً هشة، وكلمة واحدة قاسية يمكن أن تحطمها. أرجوك تحدث إلى دونا ماريتورن بالرقة التى تستحقها رقتها الهشة

صاحب الحـــانة : هكذا! أنت تحلم أم ماذا؟ ألا ترى أنها..

كيشـــوت : " **غاضباً** " أرى كل شيء ولا أحلم بشيء ولا أحب لكى أثبت أن عينى مفتوحتان أن يجبرنى أحد على التحسيس فى مكان أعرفه جيداً" **يمد رمحه إلى الأمام** "

صاحب الحـــانة : هيه! إحذر أيها النزيل! لا يهمنا هذا، لكن هذا يغضبنا

كيشـــوت : من هذا يا مولاى صاحب القصر، أتسمح لصغار الحاشية أن يعتبروك صاحب حانة..

صاحب الحـــانة : عزيزى الفارس، لكى أحدثك عن كل شيء..

كيشـــوت : لا تقل شيئاً، أى شيء، لا يمكن أن أسمح

بإهانة ملك! واجبك يا مولاى أن تبعد هذا..

صاحب الحانة : أوه يا لها من مصيبة! لم أشعر مطلقاً أنى أهنت.

كيشوت : مطلقاً! يا لها من مصيبة! كارثة وقعت على كل الفرسان وعار علينا جميعاً.. من الخير لك يا مولاى أن تعاقب هذا الوغد بما يستحقه وإلا نازلتك فى معركة وجهاً لوجه.

صاحب الحانة : لكن لست أكثر من صاحب حانة يا سيدى!

كيشوت : يا للبؤس والشقاء.. تتخفى وراء لعبة خوفاً منه أم من.. أتقول صاحب حانة؟ صاحب حانة؟" **دون كيشوت يندفع نحو صاحب الحانة رافعاً رمحه** "

صاحب الحانة : لا! أرجوك لا! لست صاحب حانة، أنا ملك! أعتقد أنك ترى جيداً أنى ملك.

كيشوت : ملك، يا مولاى؟

صاحب الحانة : ملك!

كيشوت : عظيم! حافظ على شرفك إمح عار إهانتك!

صاحب الحانة : لكن..

كيشوت : أترفض؟

صاحب الحـــانة : كلا. أيها الفارس، كلا! فى الحال.." **يتخلص من رمح دون كـيشـــــوت ويخـرج يديه مرفـوعتين وهو يتجه نحو السيد الذى أسـماه صاحب حانة وهو يقول له**" كافر، زنديق، سفاح، خائن، قذر، نذل..

سيـــد آخــر : هيه، مهلاً! أنا معه!

ثالـــــث : وأنا أيضاً.

رابـــــع : هيا بنا أيها الرجال! " **الرجال يكونون حلقة وسطها يقع صاحـــب الحـانة بين ·ضرباتهم ولكماتهم. بينما تتزايد صيحات النساء**"

الزوجـــــة :" **لدون كيشـــــوت** " النجدة أيها افارس! النجدة!

كيشــــــوت : إذا تدخلت معنى هذا إنى أسرق انتصار زوجك يا سيدتى

الزوجـــــة : سيقتلونه!

كيشــــــوت : إذا كانت شجاعـة عاهلك ستجعلك أرملة، فسوف ترثين شهرته وتكسبين ميراث البطل.

الزوجـــــة : " **بلهفة**" سأرث، وأكسب! تقول انى سأرث وأكسب؟

أحد الســـــادة : علك تتعلمين يا غسالة القدر! " **كل السادة يخرجون بلا نظام، يتركون صاحب الحانة ملقى على الأرض وهو ممسك بساقيه".**

صاحب الحـــانة : أى! آه أى.

الزوجــــــــة : " **مصدومة** " لم أصبح أرملة!

كيشـــــــوت : ليس شرطاً من المرة الأولى" **صاحب الحـــانة**" شكراً لله،يا لها من معركة! أؤكد لك أنه لم يكن بمقدورى أن أفعل أكثر مما فعلت.

الزوجــــــــة : قل لى يا حبيبى بماذا تحس؟

صاحب الحـــانة : حبيبتى، زوجتى، صدقينى، شىء يجن أن يضرب الإنسان بغير سبب. أحس أنا صاحب الحانة أنى أتألم! أى! أتعذب كأى صاحب حانة.

كيشـــــــوت : وهذا يؤكد أن البشر إخوة فى الألم.. وأن لنا الحق فى أن نحارب من أجل الحق..

" صاحب الحانة ينهض بألم فيلحظ الفتاة التى كانت تنظر إلى المشهد دون حراك".

صاحب الحـــانة : دونا ماريتورن.. دونا! لا أملك القوة حتى لكى أضحك! لا القوة ولا المزاج.. وهذا يعنى أن لا شىء يضحك! دونا ماريتورن!

الفتـــــــاة : " **تومئ برأسها** " مولاى، **صاحـب الحـانة!**

صاحب الحـــانة : أرجوك، إعنى بعملك وأعدى شريحة من السمك لكى نقدمها للزبون.

كيشـــــــوت : سيدى، الجوع ليس من عادة الفرسان الشجعان.

صاحب الحـــانة : هيه! كما تحب! يكفى الزبائن التى هربت منى اليوم.

الزوجـــــــة : يريد أن يقول المدعوون يا

كيشـــــــوت : لا تندم عليهم! إنهم حفنة من السفهاء!

صاحب الحـــانة : حقاً، لكنهم كانوا يدفعون!

الزوجـــــــة : أوف! دائماً تتكلم كأنك تاجر!

صاحب الحـــانة : نعم، مدام، إذن كيف يعيش أصحاب الحانات، لو سمحت؟

كيشـــــــوت : لا أفهم عن أى تجارة تتكلمون، لكن الأمر إذن يتعلق بنقود..

صاحب الحـــانة : ألا تحمل نقوداً أيها الفارس؟

كيشـــــــوت : أحمل العدو الذى أحاربه؟ قضيتى هى شن الحرب على المال والجشع، ولدىَ فى رأسى ألف طريقة أثبت بها أننا لا نعيش على الأرض إلا بالفاكهة وفى المساء بالذهب وفى الينابيع بالماء!

القصور مجرد حجارة كالمجوهرات تماماً! قدما الإنسان هما هما سواء وضعتا في خشب أو في ذهب! كل شيء من الأرض يسير عليها. الأقدام العارية تسير على كنوز أكثر لأنها تسرير أكثر! والذي يسير على كنوز أكثر وأكثر هو الفارس لأنه لا يتوقف عن السير أبداً! أرأيت كم أنا ثرى رغم أني لا أملك مليماً واحداً.." **صاحب الحانة يظل جامداً. الفتاة تتجه ببطء ناحية الكواليس"**

صاحب الحانة : إلى أين دونا ماريتورن؟

الفتاة : أعد السمك سيدى صاحب الحانة.

صاحب الحانة : لا داعى! السنيور الفارس لا يشعر بالجوع!

كيشوت : إلا إذا صممت، فلا مانع من كمية عصافير محشوة، وفخذ خروف أو ديك رومى. أما الشراب فممكن زجاجة نبيذ معتق.

الزوجة : كأنك تعرف ما عندنا بالضبط.

صاحب الحانة : " **لزوجته بصوت منخفض** " ماذا يا صاحبة الحانة، هل جننت؟ إنه لا يملك مليماً.

الزوجة : ما دام يقول أن النقود لا تهم، إذن سنربح كثيراً.

صاحب الحانة : " **وقد حدث له تحول** " هذا ما كنت أحلم به طوال عمرى. وجاء الوقت الذى يجب أن يتغير فيه كل شيء إذا كان الأمر كذلك قدموا كل شئ حتى نصبح أثرياء..

الزوجة : ها أنت قد استيقظت مؤخراً.

صاحب الحانة : ادعوا كل الآنسات الفاضلات لإعداد وليمة السيد الفارس بأسرع وقت.." **السيدات المتحشمات يسرعن. الفتاة تتبعهن ولكن صاحب الحانة يوقفها** " لا، أنت لا دونا ماريتورن.. سامحنى الله إذا كنت قد جعلت يديك تلمسان المطبخ.. إنهما لا تصلحان إلا لصب النبيذ فى كأس السيد.. "**عند هذه الكلمات تتوقف السيدات وهن يشاهدن صاحب الحانة ينحنى للفتاة. الفتاة تخرج بعظمة وهى تمر أمام السيدات اللاتى ينحنين تماماً لها**".

" **السيدات يخرجن ويختفين.. موسيقى سماوية تصدح - خلال هذا المشهد السيدات يدخلن مائدة من الذهب عليها غطاء ذهب، صاحب**

الحـانة يقتـرب من دون كـيشـوت بحذر".

صاحـب الحـانة : هيه.. فارسنا الهمام!

كيشـوت : سيدى صاحب القصر؟

صاحـب الحـانة : قل لى.. هيـه، هيـه! فـيمـا بيننا ، عـيناك فى عينى، هذا المكان الملكى ألا يشبه الحانة. ؟

كيشـوت : حانة؟ ما هذا! كيف يدير صاحب القصر إحدى الحانات؟

صاحـب الحـانة : هذا مـا يبلبل أفكارى.. لدى إحسـاس بأنى لا يمكن أن أكون صاحب قصر كما تقول.

كيشـوت : كيف هذا؟ رغم نبل نظراتك وعظمة تصرفاتك؟"

صـاحـب الحـانة يتنبـه " وتواضع نادر يا سيدى صاحب القصر!

صاحـب الحـانة : صحـيح! أنا مـتـواضع.. نبل نظراتى وعظمـة تصرفـاتى.. آه يا سيـدى الفـارس! أول مـرة فى حيـاتى أحس بسمو! كم يحس المرء أنه صغير مع الصغار.. سأطير فرحاً، كم أرغب فى فرصة تتيح لى أن ألعب دوراً هاماً!

كيشـوت : هذا ما كنت أريد أن أسأل عنه سموك.

صاحـب الحـانة : كيف؟

كيشوت : يجب أن أعترف لك بأنى لا أتمتع حتى الآن بروح الفارس التى أستحقها.. لأنه قبل أن يستدعينى القدر فى أى مكان لا بد وأن يباركنى سيف نبيل.

صاحب الحانة : تريد أن أباركك أيها الفارس؟

كيشوت : أؤكد لك أن ألف فارس على الأقل باركهم سيفك.. أم ترانى مخطئاً؟

صاحب الحانة : كلا.. صحيح كما تقول تماماً! وإلا ما حدث كما أنا الآن.. وإذا لم أكن كما أنا الآن ما كنت لأكون بهذا النبل" **دون كيشوت يجثو تحت قدميه** " فارس يجثو تحت قدمى! أنا إذن هو أنا!

كيشوت : أرجو من سعادتك أن تمنحنى غداً فى الصباح لقب فارس.

صاحب الحانة : سيحدث يا فارسنا، سيحدث!

كيشوت : لكن لا أرى محراب القصر!

صاحب الحانة : محراب!

كيشوت : الذى أدخل فيه حتى يباركنى سيفك.

صاحب الحانة : طيب! من يستطيع أن يجد قصراً، لا بد أن يجد

محرابه" **المائدة أعدت تماماً. النساء يلتففن حولها في نصف دائرة"**

الزوجـــــــــة : سامحنا فخامتك.

كيشـــــــوت : " **يعود ليتجه نحو المائدة. صـوت جواده يهمهم** " آه!

الزوجـــــــــة : ماذا هناك يا فارسنا؟

كيشـــــــوت : جوادي يريد أن يأكل معي!

إظلام

" **إضــــاءة على رجل يجلس في فناء على ربوة تتدلى أقواس فوقها خيوط مختلفة. الرجل يرتدي أحمر. أجنحته حمراء عديدة خلف ظهره تخفي ذراعيه. يرتدي حذاء بوت أحمر ينتهي بثلاثة أصابع لعصافير صيد. قبعته كبيرة حمراء وريش أحمر يغطيها. وجهه منقار أحمر كبير. يتأرجح وهو يغني ويعزف على جيتار".**

الرجـل النســر : " **يغني"** رفقاء السلاح يا رفقاء السلاح! هل حصلتم على حاجتكم؟ أنياب الدببة وحوافر الذئاب؟ والسم تحت اللسان!وقسوة في العيون! وكراهية تحت الجلد! رفقاء السلاح يا رفقاء

السلاح! هل حصلتم على حاجتكم؟ منقار نسر وقرون الثور؟ القدر الذى لا يعرف الرحمة!الرأس المتحجر والقدم القاسية؟ والقلب الجاف الذى لا يصفح!رفقاء السلاح يا رفقاء السلاح! إذا كنتم قد حصلتم على كل هذا..فالحصول على العالم يصبح سهلاً! لكن حاذروا، حاذروا!فلن يبقى لكم بغير هذا كله غير عين واحدة تبكون بها وحبل قوى تشنقون به!" **فى الأمام بروجيكتور يضيء جسم دون كيشوت وهو راكع. على رأسه دجاجة وأخرى على كتفه. رمحه مائل مواجهة براتيكابل كأنه ربوة"**.

كيشوت : ويضيع الوقت على هذا النحو! الشجاعة يخنقها الخوف، الفساد والرشوة يأكلان خيرات الأرض.

الرجل النسر : " **بصوت أجش** " هيه! أيها المتدرع، ماذا بك

كيشوت : " **يدير وجهه ناحية المتحدث وهو ثابت بلا حراك**" ما هذا ويتكلم أيضاً؟

الرجل النسر: يتكلم! ويغنى ويصيح ويتحرك ويطير ويضرب ويأكل ويشرب ويتنفس ويقفز ويتعجب! يحيا.!

كيشــــــوت : عفريت الليل! من هذا الغريب الذى يحاول أن يزعج خيالى؟

الرجـل النســـر: أنا النسـر العـالمى! ولهذا أمنعك من السخط على العالم.

كيشــــــوت : لم أقرأ فى حياتى أن نسراً يدافع عن العالم.

الرجـل النســـر : أمر نادر فى الحقيقة.

كيشــــــوت : ماذا تريد أن تقول؟

الرجـل النســـر : لقد ولدت هنا!

كيشــــــوت : وسط الدجاج

الرجـل النســـر : من بيضة دجاجة.. نعم بحق! أنجبت من ديك، وبهذا لم أعد نسراً؟

كيشــــــوت : إذا كانت أذناى تخدعـانى فـالأفـضل أن أبقى أصم!

الرجـل النســـر : لقد سمعت جيداً أيها الفارس.

كيشــــــوت : كيف يا إلهى يستطيع ديك أن ينجب نسراً؟

الرجـل النســـر : وفى بعض الأحوال تكون دجاجـة.. " **الرجـل النســـر يضحك ضحكة تشبه وكوكة الفرخة. هذه الضحكة تتبعها وكوكة عالية متشابهة كما لو كانت حظيرة بأكملها تكاكى ضاحكة**".

كيشوت : من ذا الذى يستطيع أن يسخر منى بهذا الشكل؟" **يجرد حسامه** " اللعنة على كل من يزعج الفارس، حتى يجرد حسامه.. لتظهروا لتظهروا" **إضاءة على شمعدان ضخم من الفضة. على الشمعدان رجل مزروع مكان إحدى الثريات وقد مد عوده وهو يرتدى ثياباً بيضاء ووضع على رأسه شكل ذئب أبيض".**

الرجل الذئب : أطلب مساعدتى حتى ترى أيها الفارس!

كيشوت : من أنت!

الرجل الذئب : أنا شعلتك.

الرجل النسر : " **ضاحكاً**" آه، ها ها! أنظر إلى أى مدى ينير؟!

كيشوت : بعيد جداً يا سيد نسر.. بعيد جداً لدرجة أنى أرى بوضوح أعماق أعماقى..

الرجل النسر : وماذا ترى إذن؟

الرجل الذئب : لا تجبه أيها الفارس هذا سرك وحدك.

الرجل النسر : ماذا ترى! أتحداك أن تجيب! وأصر على طلبى..

كيشوت : بأى حق؟

الرجل النسر : رمز مقدس فوق العروش، مطعم بمخ الأقوياء، مثل أحد أسلافى، بحق برومسيوس، فى أمعائى

الذكاء، وفيها أسرار الدولة، العظمة والبلاهة فيها قسوة جنس الملوك المتوجين، الأحياء منهم والأموات، الأموات هل تفهم أيها الفارس! من حق منقارى أن يدق حتى على جثثهم! أنا إذن النسر الحاكم! الموجود وجود السلاح ويقظته، المراقب الأمين والحارس الأمين، المتربص!

كيشوت: ثم ماذا ؟

الرجل النسر: رأسي هو خلاصي! أجب أيها الفارس ماذا ترى بداخلك؟

الرجل الذئب : إحتفظ بسرك أيها الفارس، هذه أفضل طريقة لمقاومة هذا المنقار ...

الرجل النسر: لكننا لسنا بأعداء " **شعاع ضوء مركز ينير أحد البراتيكابلات، خيال امرأة لفت جسدها بعباءة داكنة كظل ثابتة تماماً. ذراعاها بطول جسدها. رأسها ووجهها مغطيان بطرحة سميكة تجعلهما لا يُريان. النسر يشد أوتار جيتاره".**

المرأة : مشيت أيها الفارس ولك لونى. مشيت فى الطرق الملتوية وحدك، وأنت تبحث عن الأمانى الواهية. تحمل ألوانى وألوانى ثقيلة ثقل العدالة!

ثقل الحرية! ثقل الحياة! لن تعود إلى إلا ومعك ثمرة انتصارك وإلا فلا تعد.

كيشــــــــوت : " **مذهولاً** " هل جئت.. أنت هنا! سيدة جرأتى وتهورى! لا تخش شيئاً.. ألوانك خفيفة فوق قلبى.. أحملها فى داخل قلبى. وفى يدى بين أصابعى.." **النسر يضحك ساخراً، دون كيشــــوت يستدير نحوه ويصيح** " من ذا الذى يسخر منى؟" **يتحدث إلى المــــرأة** " إذا كانت عيناك مثل البلور يمكنك أن ترى ما بأعماقى..

الرجــل النســر : ماذا سترى بداخلها ؟

الرجــل الذئــب : لا تقل شيئاً أيها الفارس.

المـــــــرأة : ماذا ترى بداخلك، أرجوك.

الرجــل الذئــب : لا تقل وإلا افترسك منقاره!

كيشــــــــوت : كيف لا أقول لمن أتنفس من أجلها" **غاضباً**" مستحيل!" **للمرأة**" ما أراه فى أعماقى يا دولسينا، قدر باهر اسمه..

الرجــل النســر : " **وهو يصر أسنانه**" اليقين.

كيشــــــــوت : نعم اليقين.. ومن هذا اليقين ستتدفق..

الرجــل النســـر : مملكة!

كيشـــــــوت : " **مستغرباً** " المملكة التى سأسلمك مفاتيحها قريباً!
ستـتـربعـين على العـرش إلى جـوارى فـوق أرض
فيها الكفاية والعدل.. وستسمين هذه المملكة..

الرجــل النســـر : السلام.

كيشـــــــوت : " **وقد أرتفع جسده إلى أعلى** " السـلام.. لأنى
سأكون قد فعلت كل شىء من أجل خير الجميع.
لا حرب ولا بؤس ولا غضب ولا دموع ولا حزن..
لدرجة أن أيدى الأعداء سوف تتشابك فى..

الرجــل النســـر : إخاء!

كيشـــــــوت : فى إخاء..

الرجــل النســـر : " **يلقى بحديثه كما لو كان درساً محفوظاً وهو
يصر أسنانه** " الإنسان للإنسان الحمل بالقرب من
الذئب، الحمامة فوق جناح النسر، الماء والنار،
العملاق والقزم، الليل والنهار، الثعبان والكعب،
الفقير والغنى، الضعيف والقوى.. الوحدة
الكبرى التى تسمى الحب! الحب! الحب!

كيشـــــــوت : السلام! من الذى وضع فى منقارك هذه الكلمة
الرائعة؟

الرجـل النســر : " **يطلق صيحة عصفور**" كريياه! كريياه! بيس! بيس!

الرجـل الذئـب : لقـد حذرتك أيهـا الفـارس.. " **ضـوء على مجموعة من البشر هياكل عظمية، الوجوه مغطاة بقناع أخضر. وقد ارتدوا خرقة مختلفة الألوان. وتاج على رءوسـهم وصـولجـان مكسـور فى أيديهم**".

الشيـوخ : وأسمى مملكتى السلام.. لأنى سأكون قد فعلت كل شىء من أجل خير الجميع لا حرب ولا بؤس ولا غضب ولا دموع ولا أحزان..

الرجـل النسـر : طموح!

كيشـوت : من أى عفن خرجتم أيها الشيـوخ؟

الشيـوخ : من المكان الذى أنت ذاهب إليه!

كيشـوت : من أنتم؟

الشيـوخ : إمـبـراطور العـالـم! لدرجـة أن أيدى الأعـداء ستنتشلك.

كيشـوت : كفى!" **النسر يضحك**".

الرجـل الذئـب : لم يحافظوا على السر.. قالوا كل ما بداخلهم.. قالوا.

الشيـــــــوخ : الإنسان للإنسان، الحمل بالقرب من الذئب، الحمامة فوق جناح النسر.

الرجـــل الذئـــب : باحوا بالسر، ذلك النور الخاص بهم تعرضوا لمنقار النسر.. حكموا المملكة.

الرجـل النســـر : كريياه! كريياه! بيس! بيس!

كيشــــــوت : هل هم بشر؟

الرجـل النســـر : كلا! أباطرة!

كيشــــــوت : وأنا ، سأحكم كانسان؟

الشيـــــــوخ : وأنا سأحكم كانسان؟

الرجـل النســـر : حكموا!

كيشــــــوت : أفسدتهم!

الشيـــــــوخ : العروش يجب أن تكون أقل ارتفاعاً!

الرجـل النســـر : فى أسفل. يملأ الرأس بالأفكار.. فى أعلى: يملأ الرأس بالدوامات..

كيشــــــوت : سأصمم عرشاً بارتفاع الإنسان، فإذا طلب الناس منى العدل لا يجبر أحد على النظر إلى أعلى أو إلى أسفل.. ينظر إلى العين فى العين..

الشيـــــــوخ : العين فى العين.. سأكون إمبراطور العادلين..

وسيكون السلام لمن يتمتعون بإرادة قوية..

كيشـــــوت : " **يتوجه ناحية الكورس** " تراجعوا! تراجعوا بإسم أفكارى يا دود الأرض! تراجـعـوا يا أعـداء معاركى!

الرجـل النسـر : كريياه! كريياه! بيس! بيس!" **العصافير تصوصو بطريقـة مـفـتـرسـة. الظلام يكسـو كـورس الشيـــــوخ والنسر والذئب يظل بروجكتور واحداً مسلطاً على كيشــــوت وعلى المـــــرأة الصامتة".**

كيشـــــوت : سيدتى! هل رأيت كيف خرجت منتصراً من المعـركـة التى قـمت بهـا أمـامك ضـد هؤلاء الوحوش.. لقد جئت لتحمينى من كل ضعف وهذا يكفى لكى أثق فى نفسى وفى كل انتصاراتى.. لقد جئت لأنك تثـقين فى يقظتى وهذا يكفى لكى أظل يقظاً.. لقد جئت لأنك تثـقين فى حقيقتى وهذا يكفى لكى أحـافظ على الحق.. لقـد جـئت لأنك تثقين فيـما أثق أنا فيه، وهذا يكفى لكى أتأكد من كل شيء كما أعرفه.

المــــرأة : أنا بعيدة عن كل هذا يا فارسى!

كيشـــــوت : بالعكس أنت قريبة جداً. أقرب من أصابعى إلى يدى..

المـــــرأة : أنا فى نهاية طريقك!

كيشـــــوت : لماذا يا سر وجودى، لماذا هذه اللعبة القاسية؟ لماذا تضعين قلبى فى شك حتى فى سلاحه.. لقد جئت يا دولسينا! وهذه حقيقة!

المـــــرأة : لم آت بعد!

كيشـــــوت : أنت هنا.. ولا يوجد شيطان واحد يستطيع أن يقنعنى بأنى لا أراك أمـــامى. إذا لمست يدك سأحس بحرارتك. إذا رفعت جزءاً من ثوبك سأرى جزءاً من وجهك.. " **يتجه ناحية السلويت** ".

المـــــرأة : فكر.

كيشـــــوت : " **يتوقف، يتردد، ثم يقرر** " أنت نبع وأنا أموت عطشاً!" **بحركة مفاجئة ينزع الطرحة ويطلق صرخة فقد إكتشف أن خلف الطرحة لايوجد رأس** ".

إظلام

" **بروجـيكتـور على البـراتيكابل الأعلى. يرى صـاحـب الحـانة مرتدياً ثيـاب النوم وقـد وضع بونيه على رأسه**".

صاحب الحانة : نبل نظراتى، عظمة قامتى! طلع النهار. هذا النهار سيكون أول أيام ملكى.. ليس معنى هذا أنى لم أكن ملكاً منذ زمن طويل، لكن من طول الزمن لم أعد متذكراً.. أنام وأستيقظ وتستيقظ على عظمتى وتتفرس نظراتى فى القصر الذى كنت أظن أنه حانة.. " **وهو يهبط من مستوى إلى آخر ينتشر ضوء النهار رويداً حتى يفرش المسرح كله. ينظر حوله وإيماءاته التمثيلية تنطبع بحسب اختياره للديكور، وأما النجف المذهب الذى يتدلى بالأقواس يتبدل بحوامل شمعدانات من الحديد والكسرولات. المائدة الذهبية تتحول إلى مائدة خشبية، ويتحول العرش إلى مقعد خشبى. والديكور فى عمومه يعود إلى حالته كحانة من الدرجة الدنيا**". هيه! هيه! هو! زوجتى.. يا زوجتى

الزوجة :" **تدخل مهرولة** " ماذا تريد يا سيدى وسنيورى؟

صاحب الحانة : أي سيد.. آه.. سيد.. وكيف أستطيع أن أثبت لك ذلك. ولكى نبدأ اسحبى كلمة سنيور وقولى

مولاى!

الزوجـــــــــة : نعم، أى شيطان أعطاك هذه القوة؟

صـاحـــب الحـــانة: " **يشـيـر إلى ديكور المكان** " ألا يظهـر كل هذا شيئاً؟

الزوجـــــــــة : هذا ، هذا ، هذا قصرنا.

صـاحـــب الحـانـــة: كـفى أحـلامـاً يا صـاحبـة الحـانة! كـفى أحلامـاً! الأحلام تكلف غـاليـاً.. جداً." **ينادى** " مـاريـتـورن! مـاريـتـورن! مـاريـتـورن! " **تدخل الفتـاه وهي ترتدي ثيابا مهلهلة وقد وضعت قناع الدمامه** "

الفتـــــــــاة : ما هذه الطريقـة التى توقظون بها أميرة؟ أنسيتوا أنى دونا ماريتورن؟

صـاحـــب الحـــانة : دونا قـدره! دونـا قـردة! دونا قـلة، دونـا قـربة! دونا.. أنظرى إلى المـرأة دونا مـاريـتـورن انظرى. " **يمسك بكسارولة من النحاس كانت أمامه على المائدة ويضـعـهـا أمـام وجـهـهـا. تنظر مـاريـتـورن بامعان فى الكسارولة".**

الفتـــــــــاة : لا يمكـن! مـسـتـحـيـل! النهـار كـاذب! النهـار كاذب!

الزوجـــــــــة : " **لزوجها** " يا للكارثة ستفسد كل شىء!

صاحب الحانة : ستفسد كل شيء! لم يكن هناك شيء ليفسد.. الحانة هى الحانة هذا الجسم الصغير، لكنه الحقيقة، الحقيقة الوحيدة، أتفهمين؟ " **جلبة وضوضاء وصياح فى الكواليس. بعد ذلك بقليل يدخل دون كيشوت يجرجره الحمارون الذين ينهالون عليه ضرباً بالعصا خصوصاً على مؤخرته**" .

الحمارون : " **وهم يضربون دون كيشوت** " هذه من أجل الأميرة ماريتورن! وهذه من أجل ضلوعى الممزقة! وهذه من أجل أسنانى المحطمة! وهذه من أجل سراويلى الممزقة! وهذه من أجل كرامتى المهدرة! وهذه من أجل عصاتى المكسرة!

كيشوت : " **يتوجه ناحية صاحب الحانة وقد جثا تحت قدميه** " سيدى، مولاى، اسمح لى أنشهم كما الذباب!

صاحب الحانة : هيه! هيه! يخيل إلىّ أيها الفارس أن هؤلاء الأمراء الصغار يوزعون عليك القروش المتبقية معهم بعد أن أنفقوا علىّ النقود المجمدة.

كيشوت : أنا فى قصرك يا مولاى والذوق يقضى بألا أقتل

إلا بعد إذنك!

صاحب الحانة : آه لا! لا يمكن أن تقتلهم.. أنا فى حاجة إلى قروشهم التي يدفعونها مقابل الشراب حتى أعيش!

كيشوت : ما هذه اللغة الغريبة التى تتحدث بها يا مولاى صاحب القصر؟!

صاحب الحانة : أين هو القصر الذى صنعته لى بالأمس؟

كيشوت : " **يتلفت حوله**" أنت أيضاً وقعت فريسة الساحر المخيف في ليلة واحدة!

الزوجة : ساحر! سمعت يا زوجى! نحن فريسة الساحر.. كنت أعلم أن هناك سبباً لكل هذا !

صاحب الحانة : آه! لا تعودى إلى البلاهة أيها السيدة!

كيشوت : صدقنى يا مولاى.. لابد أن أقضى على الساحر قبل أن يقضى على عظمتنا.

صاحب الحانة : لا تحدثنى عن العظمة مرة أخرى..

كيشوت : لا بد منها يا سيدى.

صاحب الحانة : حتى تأكل وتقيم بالمجان، أليس كذلك!

كيشوت : آكل ماذا وأقيم أين، العالم كله ينتظرنى لكى أنقذه من هذا الساحر المخيف.

صاحب الحانة : اذهب إلى الجحيم يا عابس الوجه.

كيشوت : عابس! سأذهب ولكن حافظ على وعدك!

صاحب الحانة : ليست لدى وعود إلى الجحيم.. مزقت ملابسى الممزقة.. ذهبت بعقل زوجتى الضائع.. أفقدتنى صوابى المفقود.. أضعت زبائنى الضائعين حطمت ضلوعى المحطمة.. أكلت طعامى ولم تدفع شيئاً! إلى الجحيم إذن.

كيشوت : مولاى، لقد وعدتنى..

صاحب الحانة : " **وقد فلتت أعصابه** " عصا، إلىَّ بعصا!" **واحد من الحمارين يعطيه عصاه** "

كيشوت : لقد وعدتنى.

صاحب الحانة : لم أعد بغير هذه" **يضربه ضربة قوية على ظهره**".

كيشوت : وأنا لا أطلب غيرها يا سيدى، بهذا تكون قد عمدتنى ونصبتنى فارساً وحققت وعدك. أبقاك الله! ليمسك أحدكم السرج حتى أعتلى ظهر جوادى؟!" **فترة صمت** "

الفتاة : أنا!

كيشوت : من أنت؟

الفتــــــــاة : أنا.. ماريتورن يا سيدى!

كيشـــــــوت : " **ينظر إليها متعجباً ثم يتوجه ناحية الآخرين** " أقول لكم جميعاً: العيون التى لا ترى إلا ما هو أمامها عيون عمياء.. الدنيا كبيرة أيها السادة ولم تتواجدوا فيها بعد.. هذا ما يجب أن تعرفوه وإلا صارت الدنيا حانة معدمة مثل هذه الحانة."

"**يخرج تتبعه الفتاة. لحظة وقد صمت فيها الجميع**"

صاحــب الحــانة : هيا يا سادتى الصغار!" **ضحكات الحمارين** " آسف لكل هذا. وسامحونى على كل ما حدث حتى بالنسبة لضرباتكم التى انهالت علىّ.. أنا أرحب بكم فى حانتى أيها الأصدقاء واليوم صاحـــب الحـانة هو الذى سيقوم بخدمتكم

حمــــــــار : " **للآخرين** " وغد، لكنه تاجر بارع!

" **ضحكات عامة. فيما عدا الزوجـــــــة وقد وقفت وحدها فى مقدمة المسرح مستغرقة فى تفكير عميق**"

صاحــب الحــانة : إلىّ ببرميل ممتلئ! هيا! ماذا تنتظرين أيتها السيدة صاحبة الحانة.

الزوجــــــــة : عودته..

إظلام

" بروجيكتور من اليمين وآخر من اليسار يضيئان مقدمة المسرح على اليمين دون كيشوت ممتطياً جواده وعلى اليسار سانشو ممتطياً حماره".

سانشو : هأنذا!" **سانشو بائساً** " هل تذكرني! أنا الذى وعدته أمس بحكم جزيرة.. لقد جئت!

كيشوت : حسن!

سانشو : وجهك.. أنت الذى قررت أن وزنى يساوى جزيرة.. صباح الخير.

كيشوت : صباح الخير مساءً!

سانشو : الجو جميل أليس كذلك؟

كيشوت : نعم.

سانشو : صح، صحيح، عندما تصفر الريح من الإتجاه الذى تصفر منه اليوم، أستبشر خيراً.. هذه الريح قادمة من الجزر.. وتناديني أليس كذلك؟

كيشوت : ماذا تعنى؟

سانشو : الجزيرة!

كيشوت : سأعطيك إياها، لا تخف، لكن أعطني..

سانشـــــــــو : أعطيك.. وعندما أقول أنى مستعد أن أعطى، لا أملك شيئاً فى الحقيقة.

كيشـــــــوت : الثراء فى داخلك يا سانشـــــــــو!

سانشـــــــــو : هذا ما أقوله دائماً لزوجتى.. لكنها لا تعرف هذه الثروة.. تعتقد أنها فقيرة.. صحيح إنها ظلت تفكر طوال الليل عندمـا علمت بأنى سـأتسلم الجزيرة، وأدركت اليوم فقط الثراء الذى بداخلى.. وقالت لى ربما انك لا تستطيع أن تفعل أى شيء فى حيـاتك إلا الحكم، وبهـذه المناسبـة أحب أن أذكرك بأنى لا أحب الدخول فى المعارك ولا أحب أن أحارب ولا أقاتل ولا أى شيء على الإطلاق.. أنا لست مسالماً فقط أنا هادئ جداً وطيب جداً و.. جداً وهذا يرجع إلى عقدة نفسية تجعلنى لا أحب الضرب أبداً. ولهـذا أحب أن أرى المستـقبل كله أمامى وليس ورائى.. فاذا كان صحيحاً أن القادة الكبار لا يمكن الحكم عليهم فى المعارك، أصبح أنا أفضل قائد عرفه التاريخ.. شيء آخر.. زوجتى تعلم أنى أحب النوم مبكراً حتى استيقظ مبكراً وأشرب اللبن حتى لا يكون نومى ثقيلاً.. وهذا

وعد أعطيته لها بألاً أتغير ابداً وأنا حاكم..
وأخيراً يا سيدى الفارس وما دمنا قد دخلنا فى
التفاصيل أحب أن أعرفك بأن أمعائى اعتادت
النظام.. أما فيما عدا ذلك فأنا رجلك أنا تابعك
ولكن لا تحاول أن تبالغ فى المطالب بالنسبة لى.

كيشـــــوت : عظيم.. طالما ستمسك بالسرج حتى أعتلى
جوادى وحتى أهبط من فوقه وطالما ستحضر الماء
للجواد وطالما ستعالج جروحى بعد المعارك، فتفاءل
خيراً.

سانشـــــو : أنا سأتفاءل تماماً يا سيدى.. تقدم وأنا
وراءك." **يدخل من اليسار أربع شخصيات ترتدى
كاكولة من قماش الشنط تغطيها من الرأس حتى
الركبة. أما أفخاذها وأرجلها فعارية تماماً..
مربوط أحدهم فى الآخر بحديد يسلسلهم.
وحارسان يحرسانهم.. الطابور يصعد ببطء
المستويات العليا".**

كيشـــــوت : موكب غريب، أى نظام يتبعه هؤلاء الرهبان؟

سانشـــــو : نظام الأشغال الشاقة!

كيشـــــوت : لم أسمع عنهم أبداً.. وماذا يسمونهم؟

سانشـــــــــــو : بدأنا؟ يسمـونهم المحكوم عليـهم بالأشـغال الشاقة!

كيشـــــــوت : آه! سانشـــــــــو، هذا النظام يعجبنى.. أنظر كيف يتحدون بقيود الأخوة!

سانشـــــــــو : ألا ترى أنهم مساجين الملك!

كيشـــــــوت : مساجين، كيف؟ أتتصور مثلاً أن الملك يقسو على أحد

سانشـــــــــو : لم أقل هذا! أقول أنهم محكوم عليهم بالأشغال الشاقة لأنهم عارضوا الملك أو لم ينفذوا أوامره وأحكامه بالضبط

كيشـــــــوت : المهم، أراك تحب تشويه الحقائق فتريد أن تبين أن هؤلاء الناس مجبرون على العمل وليس بإرادتهم الحرة.

سانشـــــــــو : أنا متأكد من هذا طبعاً!

كيشـــــــوت : فى هذه الحالة يا سانشو، لا داعى للإسترسال.. إنك بعد لم تضع قدمى على الأرض.

سانشـــــــــو : تحت أمرك، وخدماتى لا تتأخر أبداً." سانشو **يساعد دون كيشوت على النزول من فوق صهوة جواده ".**

كيشــــــوت : لا تتأخر من أجلك ومن أجلى. أخرج يا سانشــو القدر معنا!

سانشـــــو : ماذا ستفعل يا سيدى؟

كـيشـــــوت : سـأختـبـر مـهنتى يا عـزيزى، المهنة التى تمنع القـــــسوة وتنقذ المظلومين.

سـانشــــــو : آه! مـهـلاً أنظر أين تضع قـدمـيك.. تأكـد من الأرض. نحن اثنان لا تنس.

كـيشـــــوت : " يتـجـه ناحـيـة الحـرس " سـؤال، أريد أن أسـأل سؤالا ، هل تعرفون ما هى الحرية؟

الحـــارس الأول : نعم! أن تتركنا نمر.

سانشـــــو : أفضل إجابة، تعال يا سيدى..

كيشـــــوت : لا أحب الإجابة من هذا النوع.

الحارس الثانـــى : ولهذا عليك أن تكتفى بهذا.

سانشـــــو : صح! نحن لا نريد أكثر من هذا، هيـا يا سيدى هيا!

كيشـــــوت : أريد أن أعرف ماذا فعل هؤلاء الناس؟

الحـــارس الأول : فعلوا ما يستحقونه بالنسبة لما فعْلوه!

سانشـــــو : عظيم! ها أنت قد عرفت! هيا بنا!

كيشـــــوت : هذه الإجابة ليست كافية!

سانشــــــــــو : فى هذه الحالة أستطيع أن أقول لك أكثر.سأعطيك معلومات أكثر.

كيشــــــــوت : لا! أريد أن أعرف كل شيء منهم هم.

سانشــــــــو : أوه! سانشو يا حبيبى يجب أن تبحث عن مخرج من هذه الكارثة" **يجرى هرباً** ".

كـيشــــــــوت : " **للحارسين** " ألا يقول قانون الشرف أن العدالة يجب أن تدافع عمن يدافع عنها!

الحارس الثانــــى: وبعد! ماذا تريد أن تقول، الحر بدأ يشتد وأنا لست على استعداد للإنتظار أكثر من هذا." **دون كيشوت يقترب من المساجين** ".

الحـــــارس الأول: " **لدون كيشوت** " عظيم أسألهم عما فعلوه ولا تجعل الغضب يدفعك لقتل أحدهم أو أكثر." **الحارسان يجلسان، دون كيشوت يقترب من المساجين يخاطبهم** "

كيشــــــــوت : نعم أيها السادة! ما هى الجريمة التى ارتكبتموها وجعلتكم فى هذه الحالة المؤسفة !

الجميـــــــع : نحن أبرياء!

كيشــــــوت : أبرياء أتسمع يا سانشو، هيه! سانشو إقترب..

سانشـــــــــو : لا يمكن أبداً.. إنى أسمع من بعيد.. وبما أن

هذا الأمر يهمنى كثيراً فلا أريد أن تضيع كلمة واحدة لا أسمعها.

كيشـــوت : يقولون أنهم أبرياء.

سانشــو : أطلب منهم أن يرددوا أمامك الكتاب المقدس.. إنهم يحفظونه عن ظهر قلب لأنى أعتقد أنهم هم الذين كتبوه..

الجميـع : نحن أبرياء!

السجين الأول : أنا هنا لأن هناك من أحبتنى يا سيدى!

السجين الثانـى : وأنا هنا لأنى أحب الأغانى يا سيدى!

السجين الثالث : وأنا هنا لأن مصيبتى أكبر.. كل آلامى سببها أنى جميل يا سيدى!

السجين الرابع : ماذا أقول عن نفسى يا سيدى، أنقذت المجتمع من المرابين وسرقت النقود النائمة فى خزائنهم.

السجين الأول : " يجذب إليه كيشـوت " الحب يا سيد جريمة أم براءة؟

كيشـوت : براءة طبعاً، براءة.

السجين الثانى: " يجذب إليه كيشـوت " إذا كنت تحب الموسيقى ماذا تفعل؟

كيشـوت : أغنى طبعاً!

السجين الثالث : " **يجذب إليه كيشوت** " لا أستطيع أن أخفى جمالى، خمس عشرة فتاة تعلقن بى !

كيشوت : أوه! دولسينا! سأذهب إلى السجن يوماً لأنى أحببتك، أم ماذا ؟

السجين الأول : " **يجذب إليه كيشوت** " حبيبتك تدعى دولسينا ؟

كيشوت : نعم يا عزيزى! إنها أجمل إنسانة فى العالم.

السجين الأول : حبيبتى أغنى إنسانة فى العالم!

كيشوت : ما اسمها ؟

السجين الأول : مدام بورصة.

كيشوت : بورصة، بورصة، كيف؟

السجين الأول : إنها حقاً منتفخة من أسفل لكن صـــوتها ذهب.. جننت بها!

السجين الثانى : " **يجذب إليه كيشوت** " تحب الأغانى، عظيم، تغنى عظيم! لكن إذا لم يكن صـــوتك جميلاً

كيشوت : أسمع صـــوت الآخرين!

السجين الثالث : " **يجذب إليه كيشوت** " خمس عشرة فتاة مرة واحدة، أردُهن كأن معنى ذلك أنى

أقتلهن من الحزن ولكن أين أستضيفهن؟ كان القدر فى صفى عندما مات والدى وترك البيت استضفتهن فيه.

السجين الأول : " **يجذب إليه دون كيشوت** " وقعت الكارثة عندما جرد أحد أبناء مدام بورصة أمه من كل شيء، المال والسمعة أيضاً، ولكن من أسفل..

السجين الثانى : أنا لم أفعل أنا الواقف أمامك أخاطبك، أكثر من جمع خمسة عشر أو عشرين رجلاً وجلسنا نغنى..

السجين الثالث : " **يجذب إليه كيشوت** " بيت أبى كبير وشاسع أمام مدخل المدينة، ولم أفعل أكثر من أنى جمعت الخمس عشرة معجبة وعشنا فى حب وسعادة بعد أن ضممنا إلينا أصدقاء جداً..

السجين الأول : " **يجذب إليه كيشوت** " ماذا تفعل لو أن قاطع طريق سجن دولسينا حبيبتك كما فعل مع بورصتى؟

كيشوت : أنقذها!

السجين الأول : هذا ما حاولت أن أفعله، لكن إذا تعرض لك؟

كيشـــــــوت : أقتله.

السجيـــن الأول : هذا ما فعلته.

كيشـــــــوت : فعلت خيراً يا أخى!

السجين الثانى : " **يجذب إليه كيشـــــــوت** " والفتيان الخمسة عشر كانوا سعداء لدرجة أنهم كانوا يدفعون لى نقوداً عندما أنصت إليهم وهم يغنون! لكن الحكام لا يحبون الأوبرا! ولهذا ينتقمون منى أنا الآن!

السجين الثالـث : " **وهو يبكى** " وهاأنذا فى طريقى لقضاء عشر سنوات سجن لأنى نشرت الحب.

السجين الرابـــع : هل يمكن أن نحب هذه العدالة يا فارس الفرسان؟

كيشـــــــوت : لا يمكن يا صديقى، لأنها مليئة بالمغالطات.

الجمـــــــيع : نحن أبرياء! نحن أبرياء!

كيشـــــــوت : أصدقكم يا إخوانى، ولذلك أنا موجود فى هذا العالم ولذلك رأيتكم اليوم.

سانشـــــــو : " **جانباً** " واضح أن الأسباب التى جاءت بهم الى هذا العالم هى نفس الأسباب التى دعت أمى إلى إنجابى.

كيشـــــــوت : ولكى نبدأ سأمارس الحكمة التى تعلمتها من نظام الفروسية الذى أنتمى إليه.. " **قف ضد**

العنف إذا لم تجد الكياسة " سأحاول اقناع الحرس بالكياسة لإطلاق سراحكم

السجيـــن الأول : هيا! لحظة واحدة!

كيشـــــوت : ماذا.

السجيـــن الثانـي: ألا ترى أنهم نائمون؟" الحارسان مستغرقان فى النوم تماماً

كيشـــــــوت : الشيء الذى أدافع عنه يستحق أن أوقظهم.

السجيـــن الثانـي : لا داعى. فأنت لا تعرف مزاج هؤلاء الحراس عندما تزعجهم، نمور متوحشة يا سيدى، نمور متوحشة!

السجيـــن الثالـث: عندك حق فى عدم استعمال العنف، لأنك لن تجد غيره إذا أيقظتهم.

السجيـــن الثانـي : وسنحزن يا سيدى إذا أصابك مكروه فى هذه المعركة.

كيشـــــوت : أشكركم على مشاعركم يا إخوانى، لكنى قادر على قتلهم بضربة واحدة إذا لم يطلقو سراحكم..

السجيـــن الرابـع: لكن إذا حدث أن قتلوك هم فسنضيع نحن.

كيشـــــوت : لن يحدث شيء من هذا، أنا الذي سأقتلهم

السجيـــــن الأول: إنهم ليسوا حراساً فقط، إنهم عمالقة..

السجيـــن الثانــى : أم إنك ستلطخ حريتنا البيضاء بدمائهم الحمراء.

السجيـــن الثالـث : من أجلهم نرجوك، نحن على استعداد أن نركع أمامك

الجميـــــــــــع : من أجل حراسنا يا سنيور!" **الجميع يسقطون راكعين** ".

سانشــــــو : " **جانباً** " آه.. هكذا.. لكن.. فعلا إنهم طيبون ويستحقون الحرية.

كيشـــــوت : سمو أخلاقكم يا إخوانى تدعونى للبكاء ولهذا أنا على استعداد لتنفيذ طلباتكم.. ماذا أفعل؟

السجيـــن الرابع : " **يشير إلى الحارسين** " من ينام قريباً منا يضع إلى جواره مفتاح الكلابشات..

كيـشــــــــوت : المفـتـاح" **يستـدير ناحيـة سـانشـو** " سانشـــــــو! المفتاح

سانشــــــــو : المفتاح! لكن أمر المفاتيح من شأن البوابين وليس مديرى الحظائر.

كيشــــــوت : إنه المفتاح يا سانشـو الذى سيفتح فى يوم من الأيام باب جزيرتك.

سانشـــــــو : كلابشات المساجين ليست باباً..

كيشـــــوت : وباب الجزيرة ليس باباً.. هيا بسرعة يا سانشو!
ستشقل بالعمل إذا استيقظ أحد هذين الحارسين..

سانشـــــو: أوه! يا سانشـو، هل تدرك الآن أن حرث الأرض أسهل من هذا؟" **يتجه ناحية الحارسين. الكل ينتظره بصمت.. وهو يقترب من الحارسين يشير إلى أحدهما** " هذا؟

السجـن الأول : لأ، الثانــــى.

سانشـــــو : هنا؟

السجين الأول : لا، هناك.

سانشـــــو : هنا؟

السجين الأول : نعم، هنا.

سانشـــــو : هنا؟

السجيـن الأول : قلنا هنا. " **سانشو يجذب المفتاح من حزام الحراس وهو يقفز ناحية كيشـوت، لكن قدمه تصطدم بسروال واحد منهما مما يوقظهما معاً. لكنه كان قد سلم المفتاح**

الحارس الأول : النجدة! إلى المعركة.

الحارس الثانى : " **يستيقظ مهرولاً** " ماذا؟ إيه؟ من؟ متى؟ لماذا؟

الحارس الأول : " **يمسك بخناق سانشـــو** " ماذا تفعل فى سراويلنا يا؟

سانشـــــــو : ليس أنا.. أنا لست..

الحارس الثانـى : لست أنت..

سانشـــــــو : أهييه..

الـحـارس الأول : ليكن أنت أو غيـرك عـمـومـاً وجـهك يشـبـه ذيل الجواد.. هيا، تعال!" **الحارسان يدفعان سانشو ناحية المساجين.. ولكن كيشوت يكون قد فتح كل كلابشات المساجين** "..

الحـــــارس الأول: آه إهييه! لكن.. أنا.. أنتم..

الحارس الثانـــى : ما هذا ؟ نحن.. أنا.. يعنى.. إذن..

الحـــــارس الأول : الكلابشات .. مفتاح.. حديد..

الحـارس الثانـى : حزامى.. ال.. حزام.. أنا.. هنا..

الحـــــارس الأول : " **ينفجر** " حيوان! أراهن أنك كنت نائماً!

الحارس الثانـــى : أهييه، وأنت؟

الحـــــارس الأول : ليس هذا وقت الشـجـار.. أين بندقـيتى!" **يوجه بندقيته ناحية المساجين** ".

كيشـــــــوت: أيها السادة، عندما تبين لى أن هؤلاء الناس أبرياء، نفذت الأمر بهدوء وبساطة، لكن إذا كان هذا لا يروقكم وتريدون

الحـــــــارس الأول: هيه! كلام عظيم.. ستصيبك ضربـة قوية تنسيك

كل ما فعلته فى حياتك " **المساجين يتوجهون ناحية الحارسين** "

الحـــــــارس الأول : النجدة! النجدة!

الحـــــــارس الثـانـى: " **لدون كـيـشــــــــــوت** " سـأتذكر وجـهك الكريه جيـداً أنت يا فـارس الغبرة." **الحارسان يهربان وسط ضحكات المساجين** "

السجيـــن الأول : ونحن يا إخوانى، ليذهب قطيعنا من الناحيـة الأخـــــرى" **يفرون** " إلى الناحية الأخرى.

كيشــــــــــوت : لحظة" **الكل يتوقف** " أستطيع أن أطلب منكم خدمة؟

السجين الثالــث : أقصر خدمة ممكنة، بسرعة!

كيشــــــــــوت : أرجو، وهذه رغبتى، أن تذهبوا فوراً إلى مدينة توبوزو. وتقصون أمام زوجتى دولسينا كل شىء بالتـفـصيل وتمتـدحون الفـارس الذى أنقـذكم لأنى فعلت كل هذا من أجلها وبنا ء على وعدى لها.

السجيـــــن الأول : " **وسط ضحكات الجميع** " إعـتـمـد علينا.. هيا بنا.

كيشــــــــــوت : " **يسد الطريق** " إنتظروا! توبوزو من هنا!

السجين الرابــــع : أفضل لنا أن نذهب من هنا!

كيشـــــــوت : من هنا لن تصلوا أبداً..

السجيـــن الأول : ما يشغلنا يا محررنا الأكبر، هو أننا نستهدف مكاناً بعينه.

كيشـــــــوت : هيه! اذهبوا إلى توبوزو أولاً.

السجـــين الأول : هيه، توبوزو، هيه! ليمتط زوجتك قرد!

كيشـــــــوت : " **ينتصب أمامهم مرتعداً** " دم عروقي! عصب أذني! يلعنون زوجتي يا للعنة.. خونة.. هذا هو رد الجميل! جبناء، تفصحون عن وجوهكم.. " **المساجين يرفعون ملابس الرهينة التي كانوا يرتدونها ويظهرون كقطاع طرق** ".

سانشـــــــو : " **مرتعداً** " يا لها من مصيبة! سيدي هل لا بد من أن يخلع المرء ملابسه بهذه الطريقة حتى يغزو جزيرة؟

كيشـــــــوت : آسف، يا دولسينا، يا سيدتي الجميلة! هذه غلطتي، أرجوك لا تموتي من الخوف لكن أقسم لك ألا يستمر ذلك!" **للمساجين** " باسم الدفاع الذي قمتم به من أجل النقاء أن تضعوا في أيديكم الكلابشات كما كانت" **المساجين ينظرون إلى بعضهم لبعض** " هيا! لم يعد لديكم

ضـمـيـر؟ ولا شـرف؟ ولا ضـمـيـر وشـرف، مـاذا
عندكم إذن؟ سانشـــــــــو يا عزيزى اجمع
هذه الكلابشات أرجوك.

سانشـــــو : " **يجمع الكلابشات** " فى أى مكان أضع معدات
الحرب هذه. ؟

كيشـــوت : فعلاً معدات! ضعها فى أيدى هؤلاء الناس الذين
لا يتمتعون بضمير.

سانشـــــو : ماذا تقول؟

كـيـشـوت : أعـد هؤلاء المسـاجـين فى كـلابشـاتهم يا
سـانشـــــــــو.. سنسلمـهم نحن إلى
السجن.

سانشـــــو : أنا.. تريد أن تقـول.. أنا.. سـانشـــــــــو؟
لكن يا سيدى.. أنا..

كيشـــوت : هيا!

سانشـــــو : " **يتقدم وهو يرتعد وقد أخذ يشخشخ الكلابشات
فى مواجهة المساجين الذين ينتظرون بأقدام ثابتة.
وقد جف حلق سانشـــــو** " تسمحون لى يا
أسيادى الظرفاء إذا تكرمتم وساعدتمونى فى المهمة
الصعبة الملقاة على عاتقى.. ربما شرفتمونى.. بأن

أجعل أقدامكم تتقدم قليلاً.." **في حركة واحدة يدفع المساجين بأقدامهم إلى الأمام في مواجهة سانشو الذي يتعرقل في الكلابشات المتساقطة وقد تكور على نفسه كالبالونة ها! ها! ها!**

السجين الأول : " **لدون كيشوت** " اقترب أنت أيضاً! هل تعلم يا أيها المحرر الأكبر أنه لا يكفي تحرير الناس؟ لكن لابد من توفير سبل الحياة لهم بعد تحريرهم.

كيشوت : ماذا تبغون من القول؟

السجين الثاني : سماد الموعظة! حرية يعني أكل! أكل يعني نقود. نقود يعني جيبك.

كيشوت : في هذه الحالة ستموتون جوعاً لأني لا أحمل نقوداً..

السجين الثالث : وهذا ما نريد أن نتأكد منه بأنفسنا." **يلتفون حوله ويتكاثرون عليه يقع على الأرض فيقلبونه ويفتشونه** ".

كيشوت : خونة! أنذال! سفاحين! سأعرف كيف أقطع ألسنتكم وأقطع ...

سانشـــــو : دع العاصفة تمر يا سانشــــــو الصغير! وإلا ضاعت جزيرتك.

السجيـــن الأول : هذا صحيح ليس معه ولا ظل قرش..

السجين الثـانى : هيه! الجواد!" **يقصد جواد دون كيشــــــوت".**

كـيشــــوت : أول من سيلمس جوادى.." **كل المساجـين يجرون ناحية الحصان.بينما صهيل حاد يجلجل فيتوقف الجميع ".**

السـجين الثـانى : لحـمة، من الممكن أن نأكله، أما الشـيطان الذى بداخله!

السـجـين الرابـع: نعـاين الحـمـار" **يتـوجـهـون ناحـيـة حـمـار سانشــــــو "**

السجـــين الأول: " **وهو يتجه ناحية دون كيشـــــوت "** ليحترق من يدافع عن الناس دون أن يملك ما يحميهم به" **يخرج ".**

إظلام

" أصـوات نفـيـر.. بروجكتـور، على براتيكابل.. يكشـف عن مناد يـمـسك بيـده ورقـة طويلة بيـان. مجـمـوعة من الرجال والنسـاء يستـمعـون إليه فى مقدمة المسرح".

المنـــــــادى : البوليس الأب المقدس المحبوب لعامة الشعب، يعلن أنه سيدفع ألف جنيه ذهب لمن يسلم أو يبلغ عن اثنين متشردين، أحدهما يدعى أنه فارس والآخر تابع له.. حدث أن هرب الإثنان مساجين كانوا فى طريقهم إلى السجن، وتعرضا لحرس الملك.. ومع أن الحرس قد حكم عليهم بالإعدام ونفذ فيهم الحكم على الفور إلا أن الإثنين لم يظهرا بعد.. ألف جنيه ذهب أيها المواطنون الحاضر يعلن الغائب! يا أهل البلد!

"أصوات نفير. المحارب يخرج. جموع الحاضرين تتحرك. يظهر عدد من الحمارين وصاحب الحانة وزوجته والمربية والحلاق والقس والفتاة ابنة أخت دون كيشوت ثم زوجة سانشو".

حمـــــار : إنه هذا الرجل! أراهن أنه الرجل إياه!

الفتـــــاة : " **للمربية** " إذا كان المقصود السنيور خالى فلا بد أن نسرع فى إبلاغ الكاتب من أجل الوصية.

تيريـــــز : " **لأحد الحمارين** " هذا التابع ما شكله؟

الحـــــلاق : " **للقس** " ألف جنيه ذهب! لم أكن أصدق أنهما يساويان هذا المبلغ!

صاحب الحانة : " **لزوجته** " هذه الوصية طيبة علينا أن نضع عليها أيدينا ولا ندعها تفلت.

الزوجة : حماه الله دون أن يؤذيه أحد..

صاحب الحانة : سأراه! وسأمسك به واسلمه لهم!

تيريز : أرجوك يا عزيزى ما شكل هذا التابع؟

صاحب الحانة : " **دون أن يسمع** " سأجده، أقول سأجده!" **يخرج وهو يسحب زوجته** ".

الحمّار : " **للحمّارين الآخرين** " ألف جنيه ذهب! تعالوا يا إخوانى نبحث عنهما تحت الأرض." **الحمارون يخرجون** "

المربية : " **للحلاق** " هيه! تحرك! ألا تلاحظ أنه ينبغى أن نمسك بالعصفور قبل أن ينتزع غيرنا ريشه.

الحلاق : هيه! من الأفضل أن ينتزع ريشه حتى لا يطير" **يخرجان** "

تيريز : " **للقس** " قل لى أبقاك الله، ما شكل هذا التابع؟

القس : وبعد! وبعد! ينبغى أن أعود قبل الجلاد" **يخرج مهرولاً** "

تيريز : " **للفتاة** " قولى يا حلوة هل تعرفين التابع!

الفتـــــــاة : كلا. كفاني الفارس يا إلهى! امنحنى الفرصة حتى أجهز الثوب للجنازة فلا يبدو فقيراً".

" تخرج "

تيريـــــز : ليصيبهم الطاعون جميعاً! لم يتكلم أحد عن التابع! يا سانشـــــو المسكين لعلك أنت المقصود ؟ وجزيرتك؟ يا سانشـــــو؟ إذا كان الرجل متزوجاً فلا بد أن يكون ثرياً إذا مات قبل الأوان! سانشـــــو يا زوجى لا أحد يهتم بك إلا أنا تعال ببؤسك وفقرك. تعال كما أنت بغلبك وقرفك! تعال يا حاكمى العزيز فأنا جزيرتك.

إظلام

" إضـــاءة على البـــراتيكابل العلوى. دون كيشـــوت يطل بنصفه سانشـــو يعدو من اليمين إلى اليسار يراقب ما إذا كان أحد قادماً"..

سانشـــو : هاهو حالنا! عظيم! أنا بغير حمار، وأنت بغير جواد ، عيوننا وراء كل حجر والجوع فى بطوننا والملك يبحث عنا فى كل مكان، النفير يدوى فى أرجاء الأرض وهذا حالنا ، هذا حالنا.

كيشـــــــوت : أطيب حال يا سانشـــــــو، أنا شخصياً سعيد وفخور بكل الأقدار التى تحيط بنا.

سانشـــــــو : فخور.. وسعيد.. الأقدار.. ألم تر مشنقة قبل ذلك يا سيدى الجميل؟

كيشـــــــوت : اهتمام غريب وقلق عجيب! ليس من التقاليد أن يشنق فارس.

سانشـــــــو : صحيح؟ خير عظيم! لكن التابع يا سيدى! ما أخباره؟

كيشـــــــوت : لا يمكن إستثناء كل البشر وإلا فماذا تفعل السلطة؟

سانشـــــــو : طبعاً! وهذا ما يشغلنى، يشغلنى تماماً!

كيشـــــــوت : لكن التابعين عادة لا يخشون شيئاً!

سانشـــــــو : " **بامل** " يعنى لا يشنقون؟

كيشـــــــوت : جائز! لكن فى الوقت الذى يضع فيه الجلاد حبل الشنقة حول عنق التابع، يطلق الفارس صرخة مدوية ويخترق الصفوف ويقيد الحرس ويطرح الجلاد أرضاً ويقطع الحبل بضربة سيف واحدة وينتزع تابعه ويختفى.. هذا شئ عادى للغاية كثيراً ما يحدث وكثيراً ما نقرأ عنه فى كتب الفروسية

سانشـــــو : أسوأ ما في الأمر يا سيدي، أني لا أعرف القراءة!

كيشـــــوت : وهل تشك في معلوماتي؟

سانشـــــو : كيف! معقول! لا بد وأن أصدق! إن لم يكن لديك شيء آخر تقوله.

كيشـــــوت : اسمع، عليك أن تقاوم حتى تعثر على جزيرتك وأعثر أنا على ما أبحث عنه.

سانشـــــو : ومتى يحدث ذلك كله؟

كيشـــــوت : عندما نصل!

سانشـــــو : وأين نصل؟

كيشـــــوت : بعيداً، بعيداً جداً.

سانشـــــو : أبعد من ماذا؟

كيشـــــوت : أبعد من الأبعد!

سانشـــــو : لاحظ أني أسير على قدمي.. وأموت جوعاً..

كيشـــــوت : إسترح قليلاً وتناول طعامك!

سانشـــــو : أشكرك على هذه النصائح! لكن لو سمحت قل لي أيضاً ماذا آكل بعد أن ذهب الخرج مع الحمار.

كيشـــــوت : أنت محظوظ فيمكنك أن تشكو!

سانشـــــو : ولماذا لا تشكو أنت أيضاً، هل يمنعك أحد؟

كيشـــــوت : ممنوع على الفرسان الشكوى، حتى المـــــــوت!

سانشـــو : قانون رهيب بحق! كنت أحس بالضرب الذى انهال عليك به هؤلاء الحمارون كما لو كنت أنا المضروب..

كيشـــوت : غريب، أنت المجرد من الأصل والنسب يمكن أن تتألم لألم إنسان آخر.

سانشـــو : إنسان آخر، هل أعرف بالضبط، لكن ألمك أنت يخيل إلىّ أنى أتألم له.

كيشـــوت : " **يشد على يده**" عندما تتشابك أيدينا بماذا تحس؟

سانشـــو : شجاعة غريبة.

كيشـــوت : وعندما تتلاقى عيوننا ؟

سانشـــو : أمل غريب.

كيشـــوت : سانشـــــو؟

سانشـــو : سيدى!

كيشـــوت : عد أنت!

سانشـــو : ماذا تريد أن تقول؟

كيشـــوت : عد أنت، فلا زال الوقت مبكراً!

سانشـــو : وأتركك؟

كيشـــوت : نحن محاطان بمخاطر قاتلة!

سانشـــو : ستدافع عنى!

كيشـــوت : من الممكن أن أموت أنا أولاً!

سانشــــــــو : لا يمكن!

كيشـــــــوت : من يعلم؟

سانشــــــــو : أنا!

كيشـــــــوت : لماذا ؟

سانشــــــــو : لأنى أثق بك.

كيشـــــــوت : " **يقف وقد امتدت قامته فى ذهول**" يا أرض، يا سماء، يا أشجار، يا عصافير، يا رياح، يا.. اشـهـدوا على الحدث العظيم الذى يتم الآن.. وجدته، وجدت صديقاً! لم أعد وحدى! يدك يا سانشـــــــــو، يدك يا أخى يا صداقة عظيمة تولد! كل شىء أصبح ممكناً، لم يعد هناك مستحيل." **سانشـــــــو يبكى بينما تظهر على الجانب الآخر من الكواليس أميرة لها وجه دولسينا**"

الأميـــــرة : أحييك يا فارسى المحترم! بطولتك وشجاعتك ملأت أحلامى.. وجعلتنى أنتظرك منذ أمد بعيد!

"إظلام على الأميرة. إضاءة على براتيكابل آخر حيث اثنان من الخدم يمسكان بروب أرجوانى مرصع".

خـــــــادم : الملك يطلب من السنيـور الفـارس قـبـول الروب الأرجواني تحية له.

كيشـــــوت : قل للملك أني لن أقبل الثـوب إلاّ بخشـوع! " **كيشوت يذهب ناحية الخادمين اللذين يضعان الروب على كتفه".**

سانشـــــو : يا عيني، صديقي أصبح ملكاً، كما الملك!

كيشـــــوت : العقل يا سانشـو، العقل! " **إضاءة على بقعة أخرى من المسرح. يظهر ملك مغطى بالذهب".**

الملــــــك : إني أمنحك عطفي ورعايتي لأنك حاربت من أجل الملك وعرضت نفسك للموت من أجل الملك!" **دون كـيـشـــــــوت راكـعـاً. إظلام على الملك. إضاءة على وصيفة عجوز"**

الوصيـفـــة : " **لدون كـيـشـــــــوت** " هيـا مـعـي يا فـارس الفـــرســـان.. الجـــمـــيـع فـي انتظارك." **كيشـــــوت يتبعها ببطء، إضاءة تغير سور حديد عليه رسومات مختلفة. خلفه تقف الأميرة".**

كيشـــــوت : صحيح يا أميرة دولسينا تطلبين رؤيتي؟

الأمـيـــرة : صحيح يا فارس الفرسان دون كيشـــــوت تحارب من أجل الملك؟

كيشوت : أميرتى، يا أميرتى، دولسينا!" **إظلام على الأميرة وعلى دون كيشوت"**

سانشو : هاأنت قد مشيت وأنا وراءك، عظيم.. وأصبحنا فى المعمعة.. لن تستطيع أن تعد انتصاراتنا، كسبنا الحرب فعلاً! الحرب وقد كسبناها وها نحن في القصر.. فى البلاط.. على البلاط **"موسيقى صاخبة".**

الملك : أحب أن أعلن بنفسى أهم خبر فى العصر وفى العصور المقبلة.. قررت اليوم فى الصباح الباكر بعد تفكير عميق أن أمنح الفارس دون كيشوت المال الذى يستحقه عن النصر العظيم الذى حققه لى.

سانشو : عظيم يا صديقى السنيور! اسمع بأذنى الآن الخزائن وذهبها يصطق.

الملك : لكن وزير المالية أفهمنى أن نصيبه من الذهب قد يحدث خللاً فى ميزانية الدولة ولهذا قررت أن أمنحه إبنتى الأميرة دولسينا.

أحد الوزراء : لكن يا مولاى، ما هو تاريخ هذا الفارس؟

الملك : المؤرخون الذين يفهمون أكثر منا، وجدوا بعد بحث طويل وعميق أن هذا الفارس ينحدر من سلالة

ملكيـــة وأنه ابن ملك من قــديم الزمــان. وهذا
يجــعلني أطمــئن أن الإرث الملكي لن يضـــيع
وأستطيع بعد ذلك أن أموت مرتاح الضمير.. آه

**"الملك يضع يده على صدره ويسقط. ثلاثة أطباء
يدخلون مهرولين وينكبون على الملك "**

الطبيـــــب الأول : ممكن.

الطبيب الثانـــــى : ربما..

الطبيب الثالـــث : مات!

**" إظلام على اللوحة.. محارب يحمل السلاح
يخترق المشهد وهو يهبط من السلالم"**

المحـــــــارب : مات الملك! يحيا الملك!" **نفير.. صيحات
الحشود الغفيرة"**

الحشـــــــــود : مات الملك! يحيا الملك! " **إضاءة على
براتيكابل. داخل ما يشبه الصندوق المكعب
تعلو مظلة أرجوانية رمز السلطة. حرس يلبسون
دون.كيشوت الروب الملكي المرصع بالذهب.
ويضعون على رأسه التاج وفي يده الصولجان.
الأميرة تتقدم نحو الصندوق".**

الأميـــــــــرة : مولاى! سيدى وزوجى! ألا ترى أن الوقت قد حان لتتذكر تابعك سانشو الذى لازمك فى معركتك ووقف إلى جوارك فى كل الأوقات!

كيشـــــــوت : هذا ما كنت أفكر فيه يا زوجتى النبيلة.! " **يأتى بإشارات يدخل خادمان يحملان صندوقاً من الذهب لدرجة أنه لا ينغلق من كثرة امتلائه. الخادمان يضعان الصندوق تحت قدمى كيشـــــوت. يتوجه كيشـــــوت إلى سانشـــــو الذى لا يزال واقفاً على البراتيكابل العلوى".**

كيشـــــوت : سانشـــــو! صديقى الحميم، تناول من يدى الصديقة لا الملكية ثروة مؤقتة، لا تلغ الجزيرة التى وعدتك بها.

سانشـــــو : " **متحمساً** " هذا هو الكلام! هذا ما كنت أريده، أنا قـــادم يا مـــولاى، قـــادم. **"سـانشـــــو يهـرول نحـو كـيشـــــوت ويدخل فى الصندوق أو القفص وما أن يدخل يغلق فجأة بحديدة ضخمة. والقفص كما لو كان من ذلك النوع**

الذى تحبس فيه الحيوانات المتوحشة.. سانشـو يصرخ.. إضاءة على المقدمة، فتظهر مجموعة الحمـارين وهم يتصايحون". " وبينما يتصايح الحمارون ويرقصون فرحاً يسدل الستار"

" نهاية الجزء الأول"

الجزء الثانـــــــــى

—

" الإضاءة تغطى ديكور نهاية الجزء الأول، لكن الصندوق تحول إلى قفص مصنوع من الحديد وبالداخل دون كيشـــــــــوت فى صحبة سانشـــــــــو بلا أية علامات ملكية كما تركناه. دون كـــيـــشـــــــــوت وسانشـــــــــو تعلوهما إمارات الحزن والأسى خلف قضبان القفص".

الحمّـــــــارون : ألف جنيه من الذهب! ألف جنيه من الذهب!

الحمّـــــار الأول : نعم أعتقد أننا الذين سنحصل عليها يا إخوانى!

صاحـــب الحـــانة :" **يدخل وهو يعدو** " لحظة أيها السادة الحمّارة!

الحمّار الثانـــــــى : هيه! لا تضيع وقتنا أيها السيد صاحب الحـــانة!

صاحـــب الحـــانة : دعوا هذا الرجل لى! دعوه لى! أنا الذى فكرت فى هذا الفخ!

الحمّار الثالـــــث : ومن الذى صنع القفص؟ من الذى جاء به إلى هنا ؟

صاحب الحانة : أرجوكم، دعوا لى هذا الرجل!

الحمّار الرابع : ولماذا إذن؟ هل تريد أن تحصل على الألف جنيه وحدك؟

صاحب الحانة : يا للشيطان! لا أريد شيئاً! لو كنت أملك مالاً لأعطيتكم الألف جنيه! دعوا لى هذا الرجل! دعوه لى أرجوكم!

الحمّار الأول : آه! هكذا! هل جننت أم ماذا ؟ ماذا ستفعل بالهيكل العظمى هذا ؟

صاحب الحانة : سآخذه إلى الحانة.. أريد أن يجعلنى صاحب قصر مرة أخرى! " **ضحكات الحمّارين**" نعم! يمكنكم أن تضحكوا" **يتجه ناحية القفص** " شيطان ملعون! أضعت كل أحلامى أحلامى التى تعض فى جسدى وتقطع لحمى! تعال! تعال! إنه عملك، استكمل أحلامى أيها الخائن!

الحمّار الأول : " **يوقف صاحب الحانة الذى يندفع ناحية مقبض القفص** " مهلاً! بهدوء! نحن أيضاً أصابتنا الأحلام! وألف جنيه من الذهب كانت من الأحلام التى تمسك برقابنا.." **يدخل الحلاق، القس، الفتاة، والمربية**"

الحلاق : من هنا، من هنا، إذا كانت المسألة متعلقة بالألف جنيه فان قصرنا ليس ببعيد حقاً.

سانشو : هيه! سيدى! أتنتظر حتى يصلحون القفص! تعال! ليس لدى حب استطلاع حتى أعرف من هو الفائز "**سانشو وهو يقفز يجذب دون كيشوت بينما المعركة تحتد**"

إظلام

"**إضاءة فى وسط مقدمة المسرح. دون كيشوت على حصانه بينما سانشو جالس بين فخذى الجواد**"

كيشوت : انهض يا سانشو وارحل!

سانشو : كيف، لقد أنهكت قدماى، لنا الآن يوم بأكمله هاربين!

كيشوت : نحن لا نهرب أبداً، يا سانشو!

سانشو : سمها كما تشاء.

كيشوت : يشهد الله على أن السبب الوحيد الذى لم يجعلنى أنتظر آخر من سيظل على قيد الحياة هو أن العالم فى حاجة إلى جهود مهنتى كفارس بغير إحتمال للإنتظار! مع هذا فان الملائكة هى التى ألهمتنا!

سانشـــــو : أية ملائكة؟

كيشـــــوت: كيف.. ألم ترها ؟ المسألة فى حاجة إلى إيضاح. سانشـــــو ساعدنى على الهبوط من فوق الجواد.

سانشـــــو : أنا قادم يا سيدى، قادم! أو كما يقول المثل " السادة على أرض صلبة طالما هم على أكتاف الخدم "! "**يتكلم وهو يساعد كيشوت على النزول** " كل معلق من رقبته، من فات قديمه تاه.. ومن يدرى..

كيشـــــوت : " **قدمه على الأرض** " ومن يدرى ماذا يحدث لمن يمد لسانه

سانشـــــو : خلاص، الصمت! " **فترة صمت** "

كيشـــــوت : ألا ترى كوجهة نظر أن من خلصنا هم الملائكة؟

سانشـــــو : من وجهة نظرى ووجهة نظرهم..

كيشـــــوت : ألا ترى إلاّ بعينى التابع يا سانشـــــو؟

سانشـــــو : على الأقل إلى أن أصير حاكماً! وعليك أن تلاحظ أننى لا أحب أن أعيش فى غير الواقع!

كيشـــــوت : ماذا تقصد بغير الواقع؟

سانشـــــو : مثلاً.. مثلاً.. أين ثوبك الملكى يا صديقى السيد.. أين تاجك؟ أين صولجانك؟

كيشوت : " يتحسس رأسه وجسده وينظر إلى يديه " صحيح أوافق على أنها ليست معى!

سانشو : أين هى، أخبرنى أرجوك.

كيشوت : أستطيع أن أجد ثلاثين أو أربعين تفسيراً لذلك.

سانشو : أولهما أنك لم تعد ملكاً! كفى! كفى.

كيشوت : أنا ملك! لكن كل شىء وله وقت! تذكر ما تحملناه حتى تحقق هذا! فى وقت قصير، يعنى نستطيع أن نحقق أكثر من هذا وبسرعة مرة أخرى! نحن مازلنا فى الأمس واليوم لم يأت بعد وغداً قبل اليوم وأمس.

سانشو : وجزيرتى يا سنيور؟" **صوت الحمار** " يا للسماء صوت صديقى الجميل. ماذا أسمع؟ النغم الحزين، العندليب!" **ضوء على حمار سانشو وقد وقف على براتيكابل، وسانشو يصيح فرحاً**" حبيبى، حبيبى" **يتجه ناحية الحمار**" صوتى الحبيب، المتحدث الشخصى بأسمى، مندوبى الرسمى، ربعى الأسفل، يا ألف أهلاً! ظللت ساهراً أعد النجوم

ليالى طويلة فى غيابك يا حبى!" **يبكى من السعادة** "

كيشوت : أرأيت يا سانشو كيف يعود كل شيء، ومن يدرى!

سانشو : صح، أنت على حق! نحن مازلنا فى الأمس واليوم لم يأت بعد وغداً قبل اليوم وأمس.. أنا على إستعداد للذهاب معك إلى آخر الدنيا، حتى بداية العالم، وربما حتى بطن أمى مرة أخرى!

إظلام

" موسيقى راقصة فى قرية. إضاءة على كل المسرح. قرويات وقرويون بملابس العيد يرقصون طباخون وخدم يمرون وسط الراقصين، يحملون صحوناً كبيرة من شرائح اللحم واللبن. فى أعلى مستوى على شبه كوشة موردة يجلس العريس كبيراً وضخماً وبكرش ينظر إلى ما يحدث بضحكة كبيرة مجلجلة. أثناء الرقص ينظر إليه الفلاح والفلاحة ويوجهان إليه عبارة يجيب عليها بضحكة عالية تبدى سعادته".

راقـــــص : يعيش أغنى الأغنياء! بارك الله فى زواجه كما بارك فى محاصيله.

راقصـــــة : ليـدخل فى قلبـه الحب كـمـا أدخل المال فى خزائنه.

راقـــــص : ولتلد زوجتك أطفالاً بعدد الأغنام التى تلدها حظائرك، حتى نأكل فى كل عيد ميلاده..

راقصـــــة : معنى هذا أن نقودك الذهبية هى الوحيدة التى لن تغنى لأمجادك الليلة." **يضحك ضحكة عالية ويأخذ من الصندوق المفتوح على ركبتيه ويلقى بالقطع الذهبية بحيث يترك الجميع الرقص ويلملمون القطع"**

الجميـــــع : يعيش أغنى الأغنياء! يعيش أجمل العرسان.!

العريـــــس : " **وهو لا يزال يلقى بالذهب** " كلوا يا أغنام، كلوا اللحم والذهب! كلوا! كلوا!" **بينما كل واحد منهم يحاول الحصول على أكبر قدر من الذهب، وقد إرتمى على ركبتيه أو زحف على بطنه، يدخل كيشوت يتبعه سانشو، كيشوت ينظر إلى المعركة الدائرة ثم إلى العريس الذى يتهلل.**

إثنان من الراقصين يقفان الأول فى أعقاب الآخر، حتى مقدمة المسرح"

الراقــــــــص الأول : أتركنى، أتركنى..

الراقص الثانـــــــى : دعنى أنت أولاً.

الراقــــــــص الأول : دع هذه، أنا الذى رأيتها أولاً.

الراقص الثانـــــــى : تراها شىء وتمسك بها شىء آخر.

الراقــــــــص الأول : دعها يا كلب.

الراقص الثانـــــــى : إحذر، فالكلاب تعض..

الراقــــــــص الأول : سأكسر أسنانك.

الراقص الثانـــــــى : إقطع يديك قبل أن تمدها.

الراقــــــــص الأول : سأقتلك" **يسحب سكينه** ".

الراقــــص الثانـــى : إذا كان الأمر كذلك، فسأغير لغتى معك" **يســحب هو الآخــر سكينه ويقف الإثنان فى مواجهة بعضهما** ".

العـريـــــــس : " **وهو يبدى إبتهاجه** " كل فى مكانه! كل فى مكانه! سكوت! دعـونى أرى المشـهد الذى يتم بين هذين الصـديقـين! دم وأمـعـاء.. لـو سمحتم.. دم وأمعاء!

سانشـــــــو : لا دخل لنا! عندما تتحول قطعتان من الذهب

إلى جشـتـين إذن لا داعى لهـمـا ، صـدقنى."

الجميع يتجهون ناحية دون كيشـــــوت "

العريـــــس : من هما ؟ لينصرفا ، ألا تريان أنكما تعطلان سعادتنا ؟

كيشـــــوت : سعادتكم! يا صندوق قمامة! تعتقد أن فارساً مثلى يمكن أن يشاهد حيواناً مثلك وهو يستمتع بدم الناس عن طريق أمواله؟

راقصـــــة : سلمت يا فارس الفرسان! النقود هى التى جعلتنا ننحنى

كيشـــــوت : كلا يا آنسة! لا شيء فى الدنيا يجبرك على أن تنحنى. إن الله يطلب منا أن نرفع رؤوسنا ونحن نناجيه" **ينظر إلى العريس**" إذا كان لديك برميل من النقود تريد أن تفرغه يا برميل شحم، قف واذهب إلى كل منهما ضع النقود فى يديه وأعتذر له!

العريـــــس : " **يمسك بامرأة كانت تمر بجواره** " دادا ، دادا ، أنظرى إلى هذا الشخص الذى يريد أن يفسد ليلة عرسى؟

كيشـــــوت : ليلة عرسك! سأجعلها ليلة لجنازتك!

العريـــــــس : دادا، إنه يلعن طفلك المدلل، حبـيـبة دادا،" وهو يبكى".

المـــــــــرأة : أتدرى مع من تتحدث، يا أنت، أغنى أغنياء البلدة! من أيام قيصر وقارون.

كـيشـــــــوت : وأكبر الأشرار أيضاً من أيام الذين كانوا يمتصون لبن الأمهات.

العريـــــــس : دادا، دعيه يصمت.

المـــــــــرأة : هدىء من روعك يا حـبـيـبى.." لدون كـيشـــــــوت " ألا ترى أن الليلة عرسه وأننا فى إنتظار العـــروس وأنك يجب أن تنسحب الآن وفوراً.

سانشـــــــو : يالهم من قوم سخفاء يا سيدى، هيا بنا.

كـيشـــــــوت : سخفاء غير سخفاء، سأظل فى إنتظار هذه الإنسانة التى يمكنها أن تتزوج من هذا الحيوان حتى أنهيها عن هذا الزواج.

الجميـــــــع : العروس، العروس، ها هى العروس..

" موسيقى تصدح والرقصات تعود"

راقـــــــص : تحيا العروس!

راقـــص آخـــر : أجمل الجميلات!

كيشـــــوت : أنت كاذب، أجمل الجميلات هي دولسينا!

الراقص الثاني : إسمها للأسف كاترينا!" **تدخل العروسة محاطة بفتيات وعازفو الكمنجات.. كاترينا جميلة بالفعل تزى وهى تشبه فعلاً دولسينا"**.

راقصـــــة : كاترينا، جمالك جعل كل فتيات سان دياجو يمتن غيرة.

راقصه آخرى : بعد أن رأيناك سنكسر كل مرايانا.

راقصه ثالثة : كل ثيابنا بهتت أمام جمالك.

العريـــــس : " **يصيح في دون كيشـــــوت** " مارأيك إذن أيها الدخيل؟" **دون كيشـــــوت مبهوتاً ينظر إلى كاترينا.**

كيشـــــوت : دولسينا! سيدتى.. ماذا تفعلين هنا؟

العـــــروس : ماذا تسميني يا سيدى؟

المـــــرأة : لا تعيرى إهتماماً يا عروسنا، إنه مجنون "**لكيشوت**" تستطيع أن تذهب الآن للشيطان. **"العروسة تتجه ببطء ناحية العريس الذى يمد لها ذراعه وهو يضحك ضحكته المجلجلة"**

سانشـــــو : عندك حق يا سيدى! إنها قبيحة حقاً، هيا بنا إذن.

كيشـــــوت : قبيحة حقاً؟ ألا ترى أنها سيدتى دولسينا؟

سانشـــــــــو : وهل يعقل أن تتزوج دولسينا من حيوان مثل هذا ؟

كيشـــــــوت : عندك حق، لكنى أراهن على أن كاترينا هذه تملك عيناً على الأقل تشبه تماماً عين دولسينا !

سانشـــــــو : ربما، لكن لا داعى لإضاعة الوقت من أجل عين واحدة..

كيشـــــــوت : عين من عينى دولسينا تساوى الدنيا كلها!"
يتجه ناحية كاترينا " كاترينا الحلوة! "**مستغربة تنظر إلى كيشـــــوت** " هل تحبينه حقاً هذا الحيوان.

العريـــــس : دادا، دادا، عاد مرة أخرى..

المـــــرأة : هل ينبغى أن نخرجك بالأحذية! أم ماذا ؟

كيشـــــوت : إذا قالت أنها تحبه سأخرج فوراً..

سانشـــــــو : هذا واضح يا سيدى تماماً، واضح على وجهها هذه الأمور تظهر، هيا بنا!

كيشـــــوت : هل تحبين هذا الرجل؟

كاترينـــــا : طبعاً يا سنيور الفارس ما دمت سأتزوجه.

كيشـــــوت : هذا سبب غير كاف.

العريـــــس : يكفينى أنا سيدى..

الجميـــــــــع : " **يتجهون ناحية دون كيشوت** " ياله من حيوان حقاً. مزعج ومقزز وتريد أن تفسد كل شئ.. لتذهب إلى الشيطان

سانشـــــــــو : لا داعى لمزيد من الشجاعة يا سيدى.. هؤلاء الناس لا يستحقون ذلك.

كاترينـــــــا : شوت!" **الكل يترك دون كيشوت بعد أن تكاثروا عليه** " أرفض أن يخطئ أحد فى هذه الليلة مهما كان السبب وبالذات مع هذا الرجل.

المـــــــرأة : لكن هذا الرجل يا بنيتى..

العـــــروس : هذا الرجل مشغول بسعادتى! وأنا أشكره على شعوره وأطلب منكم جميعاً أن تشكروه ! وأنت أولهم" **للعريس** " مع أنى لا أعرفه" **لدون كيشوت** " إبق يا سنيور.. لقد إخترتك شاهداً على عرسى..

كيشــــــوت : شاهد على عرسك، شاهد! " **يدخل الكاتب أو موثق الزواج** "

العريــــــس : آه! تعال يا سيدنا بسرعة" **يجرى الكاتب** "

الكاتـــــب : تعالى يا سنيورة، هاتى يدك! ويدك أنت أيضاً يا سنيور." **الكاتب يشبك يديهما وهنا يدخل مسرعاً راعٍ يرتدى ثوباً من جلد الخراف**"

الراعـــــــــى : إنتظروا انتظروا لا تتعـجلوا ، كل شيء لم يعـرف بعد! كـاترينا تعرف جيـداً.. يعيش! يعـيش أغنى الأغنيـاء! يعيش أطـول وأسعـد السنين مع الخـائنة كـاترينا! ويمـوت الفـقـيـر من نزع الفـقـر جناحيـه" **يسحب سكينه ويوجه ضربة إلى صدره ويسقط".**

الجميــــــــع : هيه!

العـــــــروس : " **تجرى نحوه** " مجنون! لماذا فعل هذا ؟

كيشــــــــوت : " **يجرى نحوه** " مازال حياً !

الراعــــــــى : ليس أكـثـر من أن تضع كـاترينا يدها في يدى؟ "**تضع يدها في يد**" وحـتى أمـوت مطمـئناً دعى الكاتب يزوجك منى!

العريـــــــس : دادا ، أترين المقالب، يريدون أخذها منى.

كيشـــــــوت : الرجل يمـوت ولا بد أن نحـقق رغـبـاتـه، على كاترينا أن تقرر

العـــــــروس : أوافق طالما هذه رغـبـتك. "**الكاتب يقـرأ على يديهما المتشابكتين وهنا ينهض الراعى ويقف على قدميه"**

الجميـــــــع : معجزة! معجزه! معجزة!

العـريـــــس : غش! خـداع!" **يسـحب السكين من يد الراعى**

ويكسره " سكين من الكرتون! دم مسرح! موت مسرحي! تعالى هنا يا كاترينا!

العـــــروس : ما حدث، حدث، ولقد قلت كلمة وانتهى الأمر، لم أعد لك، أنا له.. وتذكر أن أبي هو الذي دفعني للزواج منك طمعاً في أموالك أما الراعي الفقير فهو الذي أحبه.

كيشـــــوت : " **موجهاً كلامه للعريس** " أنت غني وتستطيع أن تشتري كل شيء في أي وقت، أما الراعي ففقير، ليس له غير هذه الحمامة.

العريـــــس : دادا، أقتليهم جميعاً، جميعهم ضدي، جميعهم كانو متفقين ضدي، وكانوا يقومون بتمثيلية..

كيشـــــوت : لا يستطيع أن يفرق بين إثنين متحابين غير الموت.. هيا إذهبوا جميعاً وتذكروا دائماً معجزة دون كيشـوت دولامانشا، تستطيعون أن تسموه الآن فارس المعجزة!

الراعـــــي : سأذكرك دائماً وكل خرافي ستردد إسمك.. وكل منكم مدعو في عرسي ولكن لن تأكلوا غير الخبز والجبن." **الموسيقى تصدح من جديد والجميع يبدأون في الخروج.**

إظلام على العريس والدادا

زئير مروع لأسد يوقف دون كيشوت وسانشو وهما يخرجان. من الناحية الأخرى يدخل رجلان يدفعان شاريو محاطاً ببيارق ملونة على الشاريو خزينة مزركشة. زئير جديد"

كيشوت : من منكما يزأر بهذه الطريقة؟

الرجل الثاني : الثالث.

كيشوت : أين هو؟

الرجل الأول : " **يشير إلى القفص**" بالداخل " **زئير**"

كيشوت : ماذا بالداخل؟

الرجل الثاني : قطة صغيرة!

كيشوت : هل تعلم خطورة المزاح عندما أكون جاداً!

الرجل الأول : " **للثاني** " يبدو أنه لا يضحك أبداً!" **لكيشوت** " هذا أسد يا سنيور، حاكم الهند بعث به للملك.. وما يؤكد هذا بيارق الملك التى تراها!

كيشوت : أسد؟ كيف؟

الرجل الأول : جائع! ومفترس!

كيشوت : كل الأسود بالنسبة لى أشبال!

الرجـــــل الأول : تقول!

كيشـــــوت : إفتحا الباب!

سانشـــــو : " **بينمـا الرجلان مندهشان**، وسانشـو **يضحك ضحكة حزينة** " هئ!هئ! هئ ترون جـيـداً أن سيـــــدى يمـزح " **الرجـلان يضـحكان بطريقة سانشـــــو**"

كيشـــــوت : مـاذا تفضـلان؟ تفـتـحـان هذا القـفص أم أجهـز عليكما ؟ اختارا بسرعة!

الرجل الثانـــى : " **لسانشـــــو** " دائماً ما يمزح هكذا ؟

سانشـــــو : سيدى السنيور.. لنترو قليلاً لو سمحت.. هذا الأسد يملكه الملك؟ صح؟ إذن لا يصح أن نفتح القفص.

الرجـــــل الأول : هذا صـحـيح، أمـا إذا أخـرج الأسد فـسنواجـه مشكلة إعادته مرة أخرى.

الرجل الثانـــى : فضلاً عن المـوت الراقد فى أنيابه!

كيشـــــوت : صحيح؟

الرجل الثانـــى : أؤكد لك أنه لا توجد حقيقة أكثر من هذه!

كيشـــــوت : وهذا ما يقنعنى أكثر.

سانشـــــو : حمداً لله، هيا بنا إذن.

كيشـــــــوت : ويقنعنى أكثر أن تفتحوا القفص!

سانشـــــــو : هذا جنون يا سيدى!

كيشـــــــوت : لا يا سانشـــــــو هذا منتهى العقل! بعد أن عـــادت الحـــيـــاة للراعى لا بد أن أواصل الطريق.. حلت الساعة التى أقاوم فيها المـوت وأقهره، ومادام موجوداً فى أنياب هذا الأسد، إذن لا بد أن تفتحوا باب القفص.

الرجــــل الأول : " لسانشـــــــو " أجب وبصراحة، سيدك مجنون

سانشـــــــو : هو يقول لا..

كيشـــــــوت : ينبغى أن أقسم أحدكما نصفين حتى يطيع الآخر أوامرى؟

الرجل الثانـــــى : يا سيدنا نحن نفضل الحياة؟

كيشـــــــوت : لا تساوى شيئاً.

الرجــــل الأول : ممكن، لكن ليس بيدنا شئ آخر!

كـيـشـــــوت : طيب، إنتظر وسـيـريـكمـا تابعى كـيـف تكون الشجاعة!

سانشـــــــو : أنا.. الشجاعة!

كيشـــــــوت : أنت.. يا سانشـــــــو! إنى أمنحك شرف فتح باب قفص الأسد!

سانشـــــــــو : أكرمك الله يا سيدى.. لكنك تعلم إلى أى مدى أنا خجول! ولا أستحق هذا الشرف.. ولا داعى لأن تخجل تواضعى وطبيعتى وتمنحنى كل هذا الشرف!

كيشـــــوت : هيا!

سانشـــــــــو: " **وهو يقترب من الشاريو مرتعداً بينما الرجلان مبهوتان** " يـا سانشـو! إنك تصل إلى أعماق الجبن الآن..وليست لديك القدرة حتى على رفضه" **يدور حول القفص** ".

الرجل الثانـــى : وبالمناسبة يا عزيزى لكى يفترس أسد ما إثنين من المؤمنين فإما أن يحبهما أو يكرههما.

الرجـــل الأول : الأسد وحده هو الذى يستطيع أن يجيب، لكنى لا أهتم بسؤاله.

سانشـــــــو : "**وقد استقر عند الباب** " تيريـــز، زوجتى، أبنائى الصـغـار.. عـائلتى العـزيزة إذكـروا دائمـاً أن سانشـــــــــو كـان طيب القلب وكـان يحبكم جميعاً " **زئير** " ماآآآ!

كـيـشـــــوت : افـتح!" **سـانشـو يغلق عـينيـه ويفـتح بكل قـوته الترباس الذى يفتح دفعة واحدة. صمت. كيشوت ينزل من على جواده ويتوجه ناحية القفص المفتوح. ينظر إلى داخل القفص**"

كيشـــــــوت : هيه، سنيور الأسد، إنى آمرك بالخروج" **صمت** " إطلع" **صمت** " أنا السنيور دون كيشـــوت دولامانشا فارس المعجزات أتحداك أن تخرج هيا! هل تسمعنى؟" **ببطء قاس يخرج الأسد رأسه من القفص. سانشـــو يطلق صرخة. رأس الأسد ترتفع نحوه** ".

سانشـــــــو :" **يحار بين دون كيشوت والأسد، يتخبط بينهما ويخطئ فيهما** " أسف. يا سيدى الأسد. لكن.. سنيور المعجزات هو ليس أنا! " **الأسد يدير رأسه ناحية دون كيشوت** "

كيشـــــــوت : عظيم يا سنيور الأسد. المـوت فى أنيابك على ما يبدو؟ أرنى إياه من فضلك." **دون كيشوت يبتعد عن القفص، الرمح أمامه وينتظر خروج الأسد.. لكن الأسد يختفى تماماً داخل قفصه. دون كيشوت يعود إلى القفص ويطلق صرخة هائلة".**

سانشـــــــو : أعتقد يا سيدى أنه مادام لم يخرج حتى الآن فلن يخرج أبداً. ومع هذا فلا يوجد أى شجاع وقف ينتظر عدوه كما تفعل أنت، لقد أعطيته الفرصة كاملة، لم يعد يستحق الإنتظار! أغلق الباب؟ هيا بنا!" **سانشـــو يغلق الباب فى خوف شديد"**

كيشـــــــوت : عندك حق! أغلق الباب يا سانشو!" **للرجلين**" لا أريد منكم أكثر من الإعتراف بالحقيقة، بما حدث، وهو أن تابعي فتح القفص، وداخل القفص يوجد أسد، وداخل الأسد يوجد الموت. وإني انتظرهما الأسد والموت لكي أقهرهما، فلم يخرج أحد، إختفى الإثنان وناما داخل القفص، وأرجو أن تعلنوا أن إسمي الآن " **فارس الأسد** " كما لقبت من قبل بفارس المعجزة.

أحدهمـــــا : حاضر يا سنيور، كل طلباتك، لا تخش شيئاً!

"موسيقى كرنفال"

كيشـــــــوت : ماهذا يا عزيزي سانشـو؟ هل ترى ما أراه؟

سانشـــــــو : تريد الحق، أنا لا أرى جيداً، إسمح لي أن أضع بعض الماء على عيني.

كيشـــــــوت : إبق هنا! إنتظر!

الرجـــل الأول : يقول لتابعه إنتظر، أفضل لنا أن نهرب" **ثم يدفعان الشاريو خارج المسرح". " يدخل إلى المسرح في نفس الوقت مجموعة غريبة تتكون من مارد، وملاك بجناحين كبيرين من الكرتون الملون. ومهرج وفتاة بوهيمية وشخص له رأس المـــــوت".**

كيشــــوت : سانشـــو! المــوت لم يكن فى أنياب الأسد!

سانشـــــو : ليته كان موجوداً، لانتهينا من ذلك؟

كيشـــوت : " **يقف أمام المجموعة ويقطع عليها الطريق، ثم يتوجه إلى الموت** " أنا آسف أيهـا الموت المسكين الجبـان. عـمومـاً هؤلاء هم شهـود المعـركـة التى سـتدور بـيننا الآن!

المـــوت : " **وهو شخصية نسائية** " إذا كنت تريد أن تسميـهم هكذا ، فلا مانع!

كيشـــوت : أى سلاح تختـار؟" **الكل يضحك** " لو لم تكن امرأة لأطرت رقبتك لكن هذا ليس من طباع الفرسان. تظن أنك قوى، لكن احذر، لست مثل سائر المـوتى، لقد قـررت أن أرحم الناس من إيذائك ومـصـائبك وأن أميتك أنت.

المهــــرج : " **يدور حول كيشـــــوت** " أنظر.. أنظر.. ألست السنيور دون كيشـوت دولامانشا ؟

كيشـــوت : آه! آه! يبدو أنهم يعرفوننى!

المـــوت : طبعاً نعرفك يا سنيور المعجزة!

كيشـــوت : وأيضـاً سنيـور الأسـد لو سـمحت.. إختبـر السـلاح بسرعة!" **الموت والمارد والمهرج والملاك والبوهيمية يتداولون**"

المـــــوت : الطاعون والكوليرا والأنفلونزا..

المهــــرج : أو حجر كبير على رأسه!

المـــارد : أو يسقط فى غلاية ضخمة!

المـــلاك : أو تطلع روحه من جسده بالسر الإلهى!

المهــــرج : أو يموت من الضحك!

البوهيميـــة : أو بسهم الحب!

المـــــوت : نعم، بسهم الحب فى قلبه! هلمى يا ابنتى!

"البوهيمية تقترب من دون كيشوت وهى تغنى"

البوهيميـــة : يا فارس أحلامى.. يا أشجع الفرسان.. يا أطهر الفرسان!أنت الذهب العربى الصافى.. وأنت العنب الصافى.إسمع غنائى، أنا المشدودة لشمس عينيك أحلم بى إلى جوار فراشك.. أداعب رأسك وأداعب مجدك يا أعظم من نيرون وحرائقه أنا العذراء أملى أن أداعب قدميك.. وأنام كما الوصيفة إلى جانبك وأجرح قلبك بسهم الحب الخالد!

كيشـــــوت : جهد ضائع يا مغنية المـوت! لدىّ دولسينا المنقوشة على روحى.. لا أحد يستطيع أن يمسحها.. تراجعى! وأنت أيها المـوت جرد حسامك ليس لدى الوقت لهذا الهذر!

المـــــــوت : ليس لدى حسام يا فارس الفرسان. فى الواقع لم أكن أعلم أنى سأنازل اليوم السنيور دون كيشوت.. مهرجى يا عقلى وأفكارى ألا تجد شيئاً توحى لى به!

المهـــــرج : هيه! لم تكتب هذا على لوحة المواعيد!

المـــــارد : حتى أنا لم أعد أى مكان فى الجحيم!

المـــــلاك : الموسيقى أيضاً ليست على استعداد لعزف لحن الموت الجنائزى.

المـــــــوت : إذن لم يحن الوقت بعد أيها السنيور الفارس!

كيشـــــوت : ليس لديك حسام، طيب" **يلقى رمحه** " نبارز إذن بالأظافر والأسنان يا أيها الموت! هيا!

المـــــــوت : طيب.. مادمت تريد ذلك. لكنى أطلب منك أن تؤجل المعركة لدقائق فهناك أمر عاجل علىّ أن أقوم به.. ولا يرضيك إلا أن ألبى النداء!الأمر متعلق بأغنى الأغنياء الذى عطل عرسه معجزة أخرى.

كيشـــــوت : أغنى الأغنياء! عرسه! معجزة!

المـــــــوت : نعم! هل تعرفه! كل ثرائه لم يستطيع أن يجلب له السعادة. وأنا فى هذه الحالة الوحيد الذى يستطيع

أن يخلصه من شقائه. سأذهب وأعود مرة أخرى!..

كيشــــــوت : إنتظر.. سأنقذه أنا كما أنقذت غريمه، رغم أنى أقف مع الفقر وليس مع الغنى.. لكن إذا كان اليأس يدق على باب الغنى فلا بد أن أدافع عنه أيضاً.. الزواج لم يكن عادلاً كما أن الموت لن يكون عدلاً بالنسبة للغنى.

المــــــوت : أووه! العدل شيئ إنسانى بحت.. الموت أيضاً لا بد أن يعيش هيا بنا أيها الأصدقاء هيا بنا..

كيشــــــوت : " **يتناول رمحه** " لكن البروتوكول يحتم علينا أن ننتهى من معركتنا.. معى رمحى ومعك أظافرك.. دافع عن نفسك." **دون كيشوت يهجم على الجميع**"

المهــــــرج : مهلاً، لا تحول الضحكات إلى دموع!

كيشــــــوت : ضحكات!

المــــــلاك : المسرحية إنتهت ــ وفريق الموت إنتهى من الدور الذى كان يحفظه، لم يعد هناك حوار آخر.. **"للموت"** إكشف له عن السر!

المــــــوت : نحن أعضاء فرقة مسرحية يا سنيور، وكنا فى طريقنا إلى حفل أغنى الأغنياء للمشاركة فيه.

المهـــــــــرج : ولم يكن هذا لطيفاً، أن تضيع علينا طعاماً شهياً ونحن نتضور جوعاً.

كيشـــــــوت : يعنى أنت لست المـوت!

المـــــــــوت : وإذا كنت لا تصدق" **يخلع القناع فيبدو وجه دولسينا الجميل** ".

كيشـــــــوت : عليكم اللعنة، أرتيست من الدرجة الثالثة وتضعين قناع دولسينا على وجه المـوت !

المـــــــــوت : عمن يتكلم؟

المـــــــــارد : من هى دولسينا ؟

كيشـــــــوت : صمتاً! لقد زادت اللعبة عن حدها ، كفى! إنزعى قناع المـرأة.. قناع دولسينا واظهرى حقيقتك.. الموت الذى على أن أميته!

المهـــــــــرج : ماهذا! هذا جنون! مجنون، مجنون!

الجميـــــــــع : مجنون! مجنون! مجنون!" **الممثلون يخرجون وهم يهرولون، يتصايحون بهرجلة شديدة جداً**"

كيشـــــــوت : إركب ورائى يا سانشـــــــــو، علينا أن نلحق بهؤلاء المهـــــــــرجين.

سانشـــــــو : مهلاً يا سنيور.

كيشـــــــوت : تعتقد أنى أستطيع أن أترك المـوت ينتحل شخصية دولسينا بهذه الطريقة.

سانشـــــــــو : لقد فعلت كل ما تستطيع يا سيدى، عموماً
أنت تقابل المـوت فى كل وقت.

كيشـــــــوت : صحيح هرب المـوت.. وكنت سأنسى أمجادى..
فارس المعجزة، فارس الأسد والآن فارس المـوت..
لنذهب إلى دولسينا لأضع هذه الألقاب العظيمة
تحت قدميها.. قبل أن تزيد هذه الألقاب وقبل أن
أنسى نصفها.

إظلام

" فى مقدمة المسرح فى أحد جانبيه مجموعة من القرويين رجال ونساء يستمعون إلى الرجلين اللذين كانا يدفعان شاريو الأسد"

الرجـــــل الأول : وعندما شاهد الأسد الفارس طأطأ رأسه خجلاً
ولم يجرؤ على الخروج من القفص!

الرجل الثانـــــى : وظل الباب مفتوحاً لمدة طويلة تكفى لخروج
ثلاثين أربعين أسداً..

الرجـــــل الأول : ماذا أقول لك، هذه شجاعة نادرة!

رجـــل فـــــردى : يعيش الجبن الذى يدعو الناس إلى عدم
إخراج الأسود من أقفاصها.. ففيما يفيد إخراج
الأسود من أقفاصها؟ **دون كيشوت وسانشو،**

الأول على جواده، والثانـــــــــــى على حماره، يظهران تحت بروجكتور من الجانب الآخر".

كيشـــــوت : " **وقد نظر إليه الجميع** " وفيما يفيد استخراج الذهب من الأرض وهو أخطر من الأسود؟ فيما تفيد السخرية من الضعيف وكراهية الأخ والغش في ميزان العدالة، والخضوع لحاكم والتراجع أمام المتجبرين والخوف من أي شئ هل أستطيع أن أسألكم يا إخواني أين قصر الأميرة دولسينا؟

رجــــــــل : لا يوجد هنا قصر ولا أميرة ولا دولسينا.. إلا إذا هبطت من السماء الآن.

كيشـــــوت : " **لسانشـــــو**" أتسمع يا سانشو؟ لا تقل هذه المرة أني أستفزهم.

سانشـــــو : لماذا تستفزونه؟

كيشـــوت : ألا ترى أنهم محرضون ويريدون منعي من رؤية دولسينا!

سانشـــــو : لا أعتقد، هدئ من روعك قليلاً.

كيشـــوت : لا يمكن أبداً.. دعني.. تراجعوا يا سفلة وإلا علمتكم كيف أهزم الأسود وأصنع المعجزات وأميت الموت!

امـــــــرأة : " **لزوجها** " هيا بنا إلى الداخل.. فهذا هو وقت تناول الطعام.

الرجـــــــــل : وقت تناول الطعـام ووقت الشئ الآخـر، علينا أن ننام وعليك أن تنجـبى بسـرعـة إبنة نسـمـيـهـا دولسـينا . " **كل القرويين يخرجون وهم يضحكون. يبقى رجل واحد يرتدى روباً وقبعـة من القش، إنه أحد الدوقات".**

الـــــــــدوق : هذا إنكار للجميل يا سنيور دون كيشـوت!

كيشـــــــوت : من أنت؟ وكيف عرفت إسمى؟

الـــــــــدوق : تبحث عن الشهرة وتعجب عندما تلاحقك؟

كيشـــــــوت: سانشـــو! ساعدنى على النزول! سانشـــو يجرى ليعاون كيشـوت على النزول من فوق جواده"

كيشـــــــوت : سيدى الدوق، الحظ السعيد هو الذى وضعنى فى طريقك أم وضعك فى طريقى؟

الـــــــــدوق : قل أنك جئت وكنت أنا فى إنتظارك.

كيشـــــــوت : كنت فى إنتظارى؟

الـــــــــدوق : هذا هو حـال الدنيـا أحيـاناً نعـتـقـد أننا وحـدنا والحقيقة أن هناك من هم فى إنتظارنا..

كيشـــــــوت : لا أخفى عليك، رغم أن هذا يشرفنى، كنت أفـضل أن أجد دولسينا فى إنتظارى!

الـــــــــدوق : هذا مـا حدث بالضـبط، دولسـينا زوجتك تنتظرك فى قصرى.

كيشـــــــوت : قصرك؟ لماذا فى قصرك؟ وكيف فى قصرك؟ ومنذ مـــتى فى قـــصــرك؟ ولماذا لـم تنتظرى فى قصرها ؟

الــــــــــــدوق : هذا ما كانت ستفعله لو لم تضطر إلى الهروب فى قصرى

كيشـــــــوت : أفـهـم من هذا أن أحداً حـاول الإعـتـداء على قصرها ؟

الــــــــــــدوق : وأى عدو يا سنيور! ساحر أراد أن ينتقم منك فى شخصها

كيشـــــــوت : وما اسمه؟

الــــــــــــدوق : يا إلهى، أعرفه ولكن..

كيشـــــــوت : تعرفه.. ولا كلمة أيها الدوق، إصحبنى إليها.. حياتى كلها لا تكفى للإعـتـذار عن عدم وجودى وقتها للدفاع عنها

الــــــــــــدوق : دقيـقة واحدة لوسمحت.. لا بد أن أصف لك الحالة التى ستجدها عليها.

كيشـــــــوت : ماذا تريد أن تقول؟

الــــــــــــدوق : الساحر غير معالمها تماماً، لدرجة أنك عندما تراها لن تعرفها.. لن تصدق عينيك..

كيشـــــوت : لا أصدق بعينى أبداً يا سنيور.. إنما بروحى. وهذا ما يجعلنى أعرف الحقيقة.

الــــدوق : فى هذه الحالة نذهب إليها.

إظلام

" ضحكات نساء. إضاءة على براتيكابل تجلس عليه ثلاثة وهن يضربن الطبل: الدوقة والوصيفة والخادمة".

الوصيفـــة : " **وهى تضحك** " هذا الدوق دائماً ما يخترع أشياء من هذا النوع!

الدوقـــة : فـرصـة عظيـمـة، عندمـا علمت أن هذا المهـــرج وصل إلى القـرية أنا التى قلت لزوجى أدعه لزيارتنا.

الخادمـــة : تعتقدين أنه سيخدع إلى هذا الحد؟

الدوقـــة : وأكثـر من هذا كـما يقـولون.." **ضحكات النساء الثلاث. خادم يدخل وهو يلعن"**

الخـــادم : السنيور دون كيشـوت دولامانشا فـارس المعجزة وفارس الأسد وفارس المـوت.

الوصيفـــة : ما هذا؟ أهم أربعة أم ماذا؟

الخـــادم : كلا، واحد فقط لكن فى رأسه أربعة، ومن الممكن

أن يكون مائة لو أراد. " **ضحكات النساء. دون كيشوت يدخل يتبعه الدوق. كيشوت يندفع نحو الوصيفة ويسقط على ركبته أمامها".**

كيشـــوت : دولسينا! آه! لا تبكى على قبحك صديقتى الرقيقة! سأعرف كيف أمحو سحر هذا الساحر القادر.. لكن مهما فعل ومهما إنتزع منك صفات البشر فأنت دائماً نور الشمس بالنسبة لى.

الوصيفـــة : هيه! أين أركله بالضبط؟

الـــدوق : " **يكتم ضحكته** " إنها ليست دولسينا يا سنيور..

كيشـــوت : " **يقف وينظر إلى الدادا** " صحيح، يعنى هذا الساحر لا ينوى إرتكاب جرائمه المماثلة مع البشر!" **الوصيفة تخرج. الدوقة والدوق يضحكان".**

الوصيفـــة : " **وقد أحست بفضيحة**" هوه! إسمحى لى أن أنصرف قبل أن يقتلنى الغضب.

الدوقـــة : إنها إحدى وصيفاتى أيها الفارس! يقولون أنك أشهر فارس شجاع فى عصرنا.

كيشـــــوت : هذا صحيح، كلام صحيح، لدرجة أنى أعتبر نفسى نموذجاً.

الدوقــــة : يتكلمون عنك كثيراً فى المدينة.

كيشـــــوت : ممكن، استحق..

الدوقــــة : هذا شرف عظيم أن تقبل تشريف قصرنا..

كيشـــــوت : ممكن تنتهزى الفرصة لأنى أمر فقط.. أرجوك أيها الدوق أن ترى سيدتى دولسينا." **الدوق يشير إلى الخادم الذى يضرب على نحاسة يتردد صداها فى الكواليس. تدخل امرأة مغطاة بطرحة تتبعها خمس خادمات يلبسن طرحاً واثنان منهن يمسكن المرأة يسندنها".**

كيشـــــوت : أوه! الفضيلة الوحيدة في هذا العالم! قوة ذراعاى! سند شجاعتى! أنت فى النهاية! دولسينا ، دولسينا! لا أعرف كيف أصبح شكلك تحت هذا الغطاء لكنى أحس أن الساحر قد أتى بأفعال مشينة على ما يبدو ولكن لا أعتقد أنه فعل ما يستعصى علىّ إصلاحه! ولا شئ فى هذا العالم يمكن أن يخرجك من قلبى يا حياتى، ولهذا لا تخشى شيئاً يا شعلة وجدانى." **الدوق يأتى**

باشارة، الخادم يضرب على النحاسة بتنغيم.
الخادمات يقتربن من المرأة ويرفعن الغطاء.
يظهر رأس لرجل مسن ولحيته السوداء الكثيفة.
يبقى دون كيشوت مسمراً في مكانه".

الدوق : هيه، ما رأيك يا سنيور! قل شيئاً.

كيشوت : سيدتي. ها.. سيدى.. أنا.. لا.. مستحيل" **للدوق** " إنها كارثة يا سيدى الدوق! ربما كانت غلطة ودولسينا امرأة أخرى من هؤلاء!" **يقصد الخادمات** ".

الدوق : أنت الذى يمكنه معرفة ذلك.. كما تقول! " **الدوق يأتي باشارة. الخادم يضرب على النحاسة. الآخريات يرفعن الطرح.. فتظهر رؤوس خمسة لخمسة رجال بذقون".**

كيشوت : ما معنى هذا ؟

الدوق : معناه أن الساحر لم يكتف بتحويل زوجتك إلى رجل، لكنه حول أيضاً كل وصيفاتها إلى رجال!

دولسينا : " **بصوت فيه لثغة** " سيدى البطل، أنت هنا لاشئ آخر يهم.. ما قيمة الذقن التى نبتت لى. الشكل الذى أصبح عليه وجهى.. أنت هنا

تؤكد لى حبك، فأحس أني جميلة كما كنت.. تعال يا فارسى، تعال بين يدى." **تمد ذراعها لدون كيشوت "**

الدوقـة : لا داعى للخجل يا سنيور الفارس، لا تنزعج من وجودنا بالعكس هذا شئ يسعدنا..

كيشـوت : لقد صنعت معجزة وهزمت الأسد وقتلت الموت

دولسينـا : صحيح يا سيدى.. تعال الآن خذ مكافأتك منى!

كيشـوت : أى مكافأة يا سيدى.. هيه.. يا سيدتى.. لننتظر تتويج الإنتصار الكامل فلازال أمامى عمل كبير وصعب.

الـدوق : ألم تقل لى أنك ترى بروحك؟

كيشـوت : طبعاً! حدث! إنها دائماً ما تسبقنى" **لدولسينا** " سيدى.. هيه.. سيى.. قبل شخصى أبعث إليك بروحى.. إحتضنيها كأنك تحضنينى." **ضربات على النحاسة. يدخل رجل بملابس الفلكى. محاطاً بأربعة فلكيين آخرين يحملون مشاعل".**

الفلكـى : هاللو! سنيور يزم، دوقيزم، أستطيع أن أصدق الجبريزم الذى أخبرتنى به النجوميزم؟ دون كيشو تيزم سيكون هنا.

الـــــــدوق : من أنت؟ وبأى صـفـة تدخل قـصـرى دون استئذان؟

الفلكـــــــى : أنا أشهر فلكيزم هنا.. أحمل رسالة للسنيور دون كيشو تيزم من الساحر يزم.

كيشــــــوت : رساليزم.. أقصد رسالة.. بأى وجه يراسلنى هذا الخائن؟

الفلكـــــــى : يريد أن يبارزك وجهاً لوجه يا سيديزم!

كيشــــــوت : أخيراً! سنتقابل أيها الشيطان!

الفلكـــــــى : وسعادتك ستتضاعف لأن ثمرة انتصارك عليه ستكون عودة الجمال لدولسينا.

كيشــــــوت : " **لدولسينا** " إذا كان الأمر كذلك، فصبراً جميلاً يا حياتى" **للفلكى** " أين الساحر الملعون فى هذه اللحظة بالذات؟

الفلكـــــــى : فى مملكته!

كيشــــــوت : أين؟

الفلكـــــــى : فى النجوم!

كيشــــــوت : أتسخر؟

الـــــــدوق : ألا يقولون دائماً أن السحرة يسكنون بأعلى؟

كيشــــــوت : أيها الدوق، من أجل حبى لدولسينا إفعل كل

شئ، لكن حكاية الصعود إلى النجوم هذه، يخيل إلى أنها فوق طاقة الفرسان!

الفلكـــــــــى : أليس لجوادك جناحان يصعد بهما للنجوم؟

كيشـــــــوت : ماذا تريد أن تقول، جوادى هو الذى سيوصلنى إلى الساحر؟

الفلكـــــــــى : لو كان له جناحان؟

دولسينـــــــا : " **بصـــــــوت أكثر انخفاضاً** " أوه يا فـارسى! انزع ذقنى وأنا أمنحك كل سـعـادة العالم!

إظلام

" إضـــاءة على براتيكابل يقف فـــوقـــه سانشـــــــو مقبوضاً عليه من اثنين من الخدم".

الخـــــادم الأول : هيا، تكلم بصراحة، بيننا وبينك.

سانشـــــــو : لا يوجد بينى وبينكما..

الخادم الثانـــــى : خادم لخادم..

سانشـــــــو : أنا لست منكم..

الخـــــادم الأول : إعترف أن سيدك مجنون!

سانشـــــــو : إذا قلتما ذلك سأقول سيدكم أعرج!

الخادم الثانى : لو أنه كذلك لقلنا.

الخادم الأول : يبدو أنك مجنون مثل سيدك!

سانشو : إحذرا فيمكننى الآن أن أدافع عن اثنين هو وأنا!

الخادم الثانى : هيه، يريد أن ينازلنا!

سانشو : ونازلت غيركما كثيرين!

الخادم الأول : ألا ترى كرشه!

سانشو : احذرا سأفتح كرشيكما!" **يقتربان منه** " من اقترب منى قتلته!

الخادم الثانى : عظيم نحن نبغى المـوت..

الخادم الأول : وسنرى من منا سيموت؟!" **الخادمان يبرحان سانشو ضرباً** "

سانشو : النجدة! النجدة! سيدى! العمالقة يضربوننى! تعال ساعدنى حتى أصل إلى جزيرتى.

الدوق : " **يدخل** " وما هذا أيضاً؟ تحولون قصرى إلى ساحة معارك؟!

سانشو : ألف عذر يا سيدى.. حاشيتك تريد أن تدفعنى دفعاً إلى القول بأن سيدى مجنون!

الدوق : " **للخدم** " إنصرفا فوراً..ألا تتطاولون إلا على خيرة ضيوفى" **يخرجان** "

سانشـــــــــو : شكراً على اعتبارنا خير ضيوفك!

الـــــــــدوق : هذه هي الحقيقة" **يستدير ناحية الكواليس "** تعالو جميعاً ها هو التابع هنا!" **الدوقة تدخل تتبعها أميرات وأمراء والجميع يضحكون"**

الـــــــــدوق : أقدم إليكم وإليكن السيد سانشو أخلص تابع لأشهر فارس." **الجميع يضحكون. سانشـــــــو مبهوتاً تماماً"**

الدوقـــــــــه : إقترب يا سيد سانشـــــــو لديك أشياء كثيرة بالطبع تقصها علينا.

سانشـــــــــو : أين سيدى؟

الـــــــــدوق : لا تقلق! يستعد بالداخل لأكبر معركة سيخوضها فى حياته.

امـــــــرأة : تريد أن تحدثنا عنه.

سانشـــــــــو : عنه، لكن ليس لدى شئ أقوله عنه.

رجـــــــــل : قل إذن! وقد رافقته دوماً، أنت فى الواقع، ماذا أقول مؤرخه الرسمى.

سانشـــــــــو : اعذرونى، أنا لا أعرف الكتـــــابة.

الدوقـــــــــه : قل ولا تكتب، قل من ذاكرتك.

سانشـــــــــو : انتصارات سيدى تعلن عن نفسها.. ليست فى

حاجة إلى من يتحدث عنها.

امـــــــرأة : هل وعدك حقاً بجزيرة؟

سانشـــــو : من قال ذلك؟

المـــــرأة : هو نفسه..

سانشـــــو : ولماذا تسألينني إذن؟

الدوقـــــة : تصدق إذن كل ما يقوله لك؟

سانشـــــو : لماذا تريدين فخامتك أن أصدق شيئاً آخر، إن لم أصدق ما يقوله!

رجـــــل : قل لى يا سيد سانشـــــو، ألم تلحظ أبداً أن سيدك يحارب فى الهواء بهذه الطريقة؟

سانشـــــو : وهل اعتدت أنت أن تحارب إلى جوار المدفأة؟" **ضحكات صفراء من الموجودين "**

الدوقـــــة : هل تنكر أو تستنكر أن كل ما يسمعه يصدقه؟

سانشـــــو : ولماذا أنكر؟ ولم أستنكر؟ لا يسمع إلا ما يقال له. فإذا كان ما يقال له كذباً فليس هو الذى يلام!

الـــــدوق : بعض المتهورين.. الذين يبغون الضحك" **ضحكات عالية"**

سانشـــــو : إذا كان هؤلاء المتهورون الذين يبغون الضحك

ما زالوا على وجه الأرض فمعنى هذا أن سيدى
لم يخطر بباله..

المـــــــــرأة : وأنت يا سيد سانشـو؟

سانشـــــــــو : أنا سيدتى، بخير، أشكرك!

المـــــــــرأة : أسألك ألم تلحظ أنهم يضحكون من سيدك!

سانشـــــــــو : لاحظت..

الرجـــــــــل : ومن هم؟

سانشـــــــــو : بعض الأغنياء الحثالة.. لا يستحقون الذكر ولا
التـــذكر" **صمت مطبق** "

الدوقـــــــــة : هيا يا سيد سانشـو من أجلنا! إعترف أن مفاخر
سيدك هى فى الواقع مهازل على الأقل..

سانشـــــــــو : ربما على الأقل.. لكن سنيـور دون كـيشـوت
وأنا نعيش على الأكثر!

الدوقـــــــــة : مثلاً!

سانشـــــــــو : أشياء كثيرة.. جزء من العدل هنا.. وجزء من
الدفاع هناك.. خطأ نصلحه هنا.. حرية ننقذها
هناك..

الرجـــــــــل : آه! عظيم.. المساجين مثلاً.. "**ضحكات عامة**"

سانشـــــــــو : إذن تعرفون مفاخرنا جيداً.. عموماً لقد قمنا

بها حتى يعرفها الجميع.. نعم بالضبط.. حررنا المساجين..

الـــــــــدوق : بالتأكيد كانوا أبرياء!

سانشـــــــو : أبداً.. كانوا مذنبين مائة فى المائة! ألا تعرفون أن هناك قدرة تقدر على تخليص المذنبين من عقابهم؟

الدوقـــــــة : المــــوت يا سيد سانشــو؟ ألا تعلم أنه حاربه أيضاً؟

سانشـــــــو : أعلم!" **ضحكات** "

المـــــــرأة : لكم أنت ساذج حتى أنك لا تعرف أن المـــوت هو الشئ الوحيد الذى لا تقدر على مقاومته؟

سانشـــــــو : ولماذا الطب إذن؟

الدوقـــــــة : السنيور دون كيشـــوت ليس طبيباً!

سانشـــــــو : حقاً، لكنه دون كيشـــوت!

الـــــــــدوق : وإذا كشفنا لك سره يا سانشـــو؟ وقلنا لك أننا ضحكنا على سيدك؟ وأنه لا توجد دولسينا بذقن، ولا دولسينا نهائياً. وأننا ألفنا مسرحية حتى نعرف كم هو مجنون، ماذا تقول؟

سانشـــــــو : لا شئ.. هل تسمح لى أن أقول لك أن كل هذا

لا أهمية له على الإطلاق سيعرف سيدى كيف يجعل من كذبكم حقيقة.. وهذه الحقيقة ستتحول إلى واقع لدرجة أنها ستصبح حقيقتكم أنتم أيضاً.. وهذه قوته.. تقولون لا توجد دولسينا.. أؤكد لكم أنه سيجعل من واحدة منكن دولسينا.. وإذا أغلقتم عيونكم حتى لا تبصرونها، سأفتح أنا عينى وأصفها لكم. منذ لحظات حاول الخدم أن يجبرونى جبراً على القول بأن سيدى مجنون! لم أقل شيئاً! ولن أقول هذا لا أمامكم الآن ولا فيما بعد.. سيدى وأنا إثنان فى واحد، مثل ظاهر اليد الواحدة وباطنها.. إذا كان مجنوناً فأنا أيضاً مجنون.. هذا هو الوفاء.. وبما أن الوفاء صفة لا تثير الضحك فإن جنونى هو الآخر لا يثير الضحك. هكذا لا يمكنكم أن تضحكوا من سيدى الذى لا يقل ولا يزيد جنونه عن وفائى.. هذا ما يمكن أن أقوله لكم.. أما فيما عدا ذلك.. فإنى أرجو من فخامتكم أن تبحثوا عن شئ آخر تقتلون به أوقات فراغكم " **ضجر وضيق يسود المكان. ضربات على النحاسة وموسيقى عسكرية. يدخل**

الفلكي يتبعه الأربعة وهم يجرون حصاناً خشبياً مثل الذى تراه فى المراجيح".

الفلكــــــــى : قفـوا كمـا أنتم! كل فى مكانه! ها هو السـوبر، السوبريزم." **ضحكات عامة بينما الفلكيون الأربعة يثبتون الحصان فى وسط المسرح"**

الدوقـــــــــة : " **تضـحك حتى البكاء** " يا إلهى لا أستطيع أن أتخيل أن هذا الجواد يمكن أن يصـعد إلى النجوم فـإن لم يتـمكن فـيـخيل إلىّ أن النجـوم هى التى ستـهـبط حـتى تراه.." **يدخل دون كـيشـوت.. الضحكات تنحصر"**

كيشـــــــوت : قالوا أن الجواد وصل، أين هو؟

الفلكــــــــى : " **يشير إلى الجواد الخشبى** " ها هو.

كيشـــــــوت : لا أرى غير جواد من خشب!

الفلكــــــــى : حقاً خشب! لكنه خشب.. خشبيزم.. خشب لا تجده فى الأرض ولو عشت ألف عام..

كيشـــــــوت : أى خشب هذا؟

الفلكــــــــى : خشب جواد، يا سنيور! خشب لا يظهـر إلا فى النجوم..

كيشـــــــوت : " **يدور حول الجواد** " ليس له لجام ولا سراج!

الفلكــــــى : ولماذا إذن؟ هو يعرف جيداً أين هو ذاهب.

كيشـــــوت : وماذا أفعل بعد ذلك؟

لفلكــــــى : تقفز فوقه فقط..

كيشـــــوت : واضح أن المسألة لعب.. لكنى لن أضيع الوقت فى الشك.. وجـدت فى الكتب أن الأشيـا ء البسـيطة يمكـن أن تكون هى الأكـثـر أهمـيـة! روملان مثـلاً قسم الجبل نصفين بسيفه.

الـــــدوق : أتواجه الساحر يا فارس الفرسان بغير تابع؟

كيشـــــوت : حقاً! لا يعقل أن أقف أمام العدو كالمساكين الذين يدعـون أنهم فـرسـان وهم لا يملكون تابعـاً واحداً.. إقترب يا سانشـــو!

سانشـــــو : سنيـور.. سيـدى.. لا بد أن يبقى هنا شخص يمثلك وأنت فى السماء..

كيشـــــوت : هيـه! لا تشغل بالك! مهما كنت غائباً بجسدى فأنا حاضر بروحي! إركب فوق مؤخرته!

سانشـــــو : لا لن أركب.. تعبت من ركوب حمارى، فـهل أركب جواداً من خشب؟!

كيشـــــوت : مـا هذا إذن؟ تجرؤ على رفض أوامرى وبشـأن مهمة سننزع فيها ذقن دولسينا؟

سانشــــــو : اللعنة للدوق! لا أحب أن أنزع ذقن أحد. على كل أن ينزع ذقنه!

كيشــــــوت : اركب. وإلا أرسلتك إلى أعلى بركلة قوية..

سانشــــــو : إذن مؤخرته أفضل" **يركب** "

كيشــــــوت : أصدقائي! أخبروا دولسينا بأني لن أعود إلى الأرض إلا بعد أن أطهر السماء من هذا الساحر الملعون.. وبما أني سأخلصها من الذقن الدخيل وسأحمي كل السيدات من الذقون، أرجوكم أن تضيفوا إلى ألقابي فارس المعجزة، وفارس الأسد وفارس المــوت وفارس الذقن !" **يصعد إلى الحصان أمام سانشو** "

الفلكــــــي : والآن وحتى لا تصابا بالدوار، أغلقا عينيكما.. **"كيشوت وسانشو يغلقان عينيهما بينما الحاضرون لا يغلقون عيونهم وينطلقون ضاحكين"**

الجميــــــع : الوداع سنيور دون كيشوت مع السلامة يا سانشو! الوداع! الوداع." **فترة صمت**"

كيشــــــوت : هل تشعر يا سانشو كيف نرتفع؟

سانشــــــو : هيه.. ليس تماماً ...

كيشــــــوت : توازن جيداً.. الفراغ تحت أقدامنا، هو السحاب..

سانشـــــــو : فى الحقيقة قدماى على الأرض تماماً.. **النساء يحركن مراوحهن أمام وجهى كيشوت وسانشـو "**

كيشـــــوت : طيب وهذا الهواء المنعش الذى يلفح وجهينا ؟

سانشـــــو : حقاً.. كما لو كان باباً قد فتح فجأة.

كيشـــــوت : باب الأبدية يا سانشـو.. العجب كله..

سانشـــــو : العجب! إنها الكلمة الصحيحة.. لأنه فيما عدا مسألة السحاب والهواء فنحن كما لو كنا لا نتحرك.

كيشـــــوت : حقاً لم أصادف فى حياتى " ركوبة " مريحة بهذا الشكل، مع احتمال أن نكون على ارتفاع كبير جداً.

سانشـــــو : لا شك فى ذلك.

كيشـــــوت : تماسك جيداً يا سانشـو وإلا وقعت من أعلى بصورة لا تتخيلها رهيبة حقاً!

سانشـــــو : آه! لا يا سيدى.. لا تفزعنى إذن! لا تفقدنى الشجاعة المحدودة التى وصلت الآن إلى قدمى..

كيشـــــوت : تخيل كيف يرانا الناس فى أسفل، يبدون صغاراً ونبدوان صغيرين.

سانشـــــو : خصوصاً ذلك الدوق، أصبح نصف دوق

"يضحكان " الدوق يتململ. سانشو يهتز من الضحك فيرتمي على دون كيشوت "

كيشوت : هيه! لا تمسك بي هكذا، سيختل توازني.. ماذا ستفعل إذن عندما نصل إلى السماء الثانية ونصادف العواصف والبراكين.

سانشو : يا للكارثة.. رأسي كالعصفور لا يمكن أن يتسع لشيئين معاً.. دعني فيما أنا فيه.

كيشوت : أليس هذا أفضل من وجوه النساء الكالحة أسفل؟" **النسوة يمتعضن وكل منهن تنظر إلى فارسها** " تنبه يا سانشو لقد وصلنا إلى السماء الثالثة، هل تسمع صوت العاصفة؟ تماسك جيداً!

سانشو : ليحفظنا المولى.. "**ينحنيان كما لو كانت هناك رياح عاصفة تهب عليهما بالفعل**" ما داموا لا يسمعوننا فلنمارس النميمة.

كيشوت : بالهمس يا عزيزي!فإذا كان صحيحاً أننا ونحن على هذا الإرتفاع الرهيب نرى بوضوح هيافات وتفاهات هؤلاء النبلاء في أسفل.. الدوق الساذج والدوقة المجنونة والوصيفات الممسوسات..

سانشــــــــــو : والآخرين الذين لا يستحقون حتى الذكر، هؤلاء الذين لا يسمون!

كيشـــــــوت : عمـوماً نستطيع أن نقـول لهم كل هذا فى وجوههم عندما نعود!" **فى ثورة غضب يسحب أحد السادة مشعلاً على أحد الفلكيين ويقربه من وجهى كيشوت و سانشــو**" السماء الرابعة نحن نقترب من جهنم

سانشــــــــــو : أوه! أحس أن جزءاً من قدمى قد إحترق بالفعل!

كيشـــــــوت : الحقيقة لا أعرف أين ينبغى أن نتوقف، لأنى لا أعلم شيئاً بعد السماء الرابعة!

سانشــــــــــو : أوه! إذا هبطنا فى العدم والتهمنا هذا العدم، فلن يبقى منا شئ نخاف عليه.. ولهذا يمكن أن أفتح عيناً واحدة أرى بها أين نحن!

كيشـــــــوت : لا يمكن! بالعكس! أغلق عينيك أكثر من قبل! كلما أغمضنا عيوننا كلما رأينا ما حولنا أكثر.. إنظر إلى يسارك! إنهم الفرسان العظماء!

سانشــــــــــو : أنظر إلى يمينك! إنها سلالتى. هيه! جدى بانسا.. أنا سانشــو.

كـيـشـــــــوت : الفـارس جنكيـز خـان.. الفـارس

سبارتاكوس. .الفارس..

سانشــــــــــو : هاللو عمي! مرحباً بك يا عمتى! سلاماً يا بنة خالتى.

كيشــــــــوت : الركوبة سريعة لدرجة أنى لا أتمكن من النظر فى عيونهم..

سانشــــــــو : أو حتى نتوقف لتحيتهم.

كيشــــــــوت : عموماً الجميع بخير.. حاذر يا سانشو، ها هو قصر عدوى يظهر! نوع من الجحيم، على أن أهبط!

سانشــــــــو : " **يعطس** " وررا.. وررا.. آه، النجدة! كما لو كان كلب يقرض فخذى.

كيشــــــــوت : اركله بقدميك" **سانشـــو يضرب فى الهواء بقدمه** " وماذا بعد! الركوبة تمر أمام قصر عدوى دون أن تتوقف.. هيه، هيه، هش، قف!

سانشــــــــو : لن يسمع يا سيدى، إنه من الخشب.. حتى لو توقف الآن فلا فائدة فقد إبتعدنا عن قصر عدوك!

الـــــــــدوق : برافو أسعد تمانى! إفتحا عينيكما أيها المهـــــــرجان؟

سانشــــــــو : " **يفتح عينيه** " كما كنا" **الجميع يضحكون** " لم

تضحكون؟ ما معنى هذا؟

الــــــــــدوق : معناه يا سيدى الفارس دون كيشوت أن النصف دوق يرى أنك مجنون دويل!

الدوقــــــة : " **لسانشو** " وأنا أرى أن رأسك صغير لكن يمكن أن يملأ بكل سخافاتك.

المـــــــرأة : لا يمكن أن يخدع إلى هذا الحد غير العبط أمثالكما!

سانشـــــو : " **جانباً لدون كيشوت** " إن لم نكن قد صعدنا إلى أعلى، فقد سمعوا كل ما قلناه عنهم!

الــــــــــدوق : هيا اهبطا من هنا! أنتما مهرجان! " **الإثنان يهبطان من فوق الحصان الخشبى** " والآن أطلبا الصفح عن كل البذاءات التى بدرت منكما!

كيشـــــوت : أنا أطلب الصفح؟

الــــــــــدوق : نعم يا سيد فارس بغير فروسية ولا أسد ولا معجزة ولا أى شئ ولا حتى مارماتون من حاشيتى!

كيشـــــوت : أنا مارماتون!" **بمنتهى الهدوء** " يا دوق بغير ذقن.. يا.. أقسم على أن أقتلك هنا وفى الحال!

الــــــــــدوق : استدعوا الحاشية! استدعوا الحرب! اقذفوا به

إلى الخارج.." **دون كيشوت يصوب رمحه** "

كيشــــــــــوت : إلى الخارج يا هلفوت! فليقترب منى أحدكم.. أما عن فروسيتى فلن أسمح لنفسى مناقشة كلامك الساذج منها وشكك فيها لأنها لا تحتمل الشك والتشكيك.. أنا فارس بالرغم منك ومن أبيك.. فارس حتى أعماقى، بالحرية التى تدفعنى بالعدالة التى تقودنى، بالشجاعة التى تحمينى.." **الدوق يحاول أن يتحرك فيصوب دون كيشوت رمحه نحوه** " لا تتحرك ولا حركة.. إذا كنت قد سمعت ما قلناه عنك أنا وتابعى فالمؤكد أنك سمعت أيضاً رغبتى فى أن أقول فى وجهك نفس الكلام وهأنذا أقول لك من جديد.." **الآخرون يحاولون الحركة فيصوب كيشوت رمحه نحوهم جميعاً** " وتنبهوا جيداً إلى أنكم لم تسمعوا كل شئ بعد! يا سفلة يا غجر يا حوش يا لمامة.. الوقت الذى تضيعونه فى ضحككم الأجوف يتألم فيه غيركم من المرض والبؤس والفكر والحرب والكفاح.. يا.. وتريدون الآن أن أطلب منكم الصفح عن جرائم أنتم الذين ترتكبونها ؟

الـــــــــــدوق : جـرائم؟ لقـد زاد عن الحـد، تطاول تماماً، لا تتركـــوه! " **يدخل الحرس بالعصا**"

كـيشـــــوت : " **يصوب رمحه** " لم أنتـه بعـد! أم أنكم لا تحسـون بأن الخداع جريمة! وأنه يمكن أن يدمـر أجمل ما فى الإنسان؟ السعادة التى حققتموها على حسابى سأعرف كيف أنتزعها منكم مرة أخرى! لن تعرفوا بعد ذلك إن كنتم خدعتمونى أم لا! ولن تتمكنوا من معرفة ما إذا كنتم خدعتمونى أم أنا الذى خـدعكم! مـاذا قلتم؟ وإذا كنتم لم تحسوا بأنى قد صعدت إلى السماء فعلاً فلأنكم قاصرون وعقولكم الصغيرة لا يمكنها أن تتصور ذلك.. وإذا كان الجواد الخشب لم يصعد بى إلى أعلى إلى الساحر فمعنى هذا أن الساحر بينكم وليس فى أعلى! لا أعـرف من هو، لكن طالما يسمعنى فهو يعلم أنى سأكتشفه ذات يوم مهما تلون ومهما تخفى! نعم، الخداع فتاك! وبما أنى مازلت أحيا فأنتم إذن لم تخدعونى.. تعال يا سانشو تعال يا صديقى، يا صديقى الوحيد.."

دون كيشـوت وسانشـو ينصرفان "

الدوقــــــــة : " تصيح " خرج قبل أن تتصيده!.. آه!" ترتمى مغمى عليها بين ذراعى الدوق "..

الـــــــدوق : شئ من الملح! بسرعة! شئ من الملح!

إظلام

" إضاءة على مجموعة من الرجال بينهم اثنان من الحمارين وهم يحيطون باثنين من الحرس الملكى".

حمــــــــار : أقول لكم أنه مر من هذه القرية.. إسألوا هؤلاء الناس.

رجــــــــل : نعم، صحيح! لقد رأيناه!

جنـــــــدى : مع تابعه؟

الرجــــــل : المربع كما البرميل والثانـى الطويل كما البوصة

الجنــــــدى : ولماذا لم تمسكوا بهما ؟

الرجــــــل : لم نكن نعلم أنهما يساويان ألف جنيه من الذهب

آخــــــــر : مثل كل شئ.. أى أخبار تعلن فى كل مكان إلا فى بلدنا هذا!

جنـــــــدى : اذهبوا إلى الملك قولوا له.. هو هنا من أجل ذلك!" لزميله " ربما لم يبتعدا عن هنا بعد، هيا نعد لهما كمينا!

إظلام

" نصف ظل على دون كـيـشـوت وسـانشـو.
كيشوت واقف رمحه فى يده مستنداً على خصر
جواده، يبدو مرهقاً، بينما سانشـو يستند بنفس
الطريقة على خصر حماره".

سانشـــو : خسارة فادحة ألا نكون قد صعدنا إلى السماء!

كيشـــوت : لكنّا صعدنا يا سانشو!

سانشـــو : أريد أن أقول فى الواقع!

كيشـــوت : هذا ما أقصده.. فى الواقع.. وأمنعك أن تفكر فى عكس ذلك أو تقوله.

سانشـــو : طيب! تقول أننا عدنا، وهذا مالا أستطيع إنكاره!

كيشـــوت : العقلاء لا ينكرون أبداً المسائل الواضحة!

سانشـــو : ليكن! وأقول أيضاً خسارة أننا لم نبق فى السماء لأنه يخيل إلىّ أن الأرض صغيرة علينا للغاية..

كيشـــوت : عندك حق يا سانشـــو، وأنا أيضاً أقول هذا! لكن لم أفكر فى الوقت نفسه أن أحصر شجاعتى فى الأرض وحدها.. ذات يوم سوف تستقبلنى النجوم أفضل مما استقبلتنى هذه المرة.. الأرض يا سانشـــو ما هى إلا الباب الضيق الذى نعبر منه.." **موسيقى حزينة تتناهى**

من بعـيـد. مـوكب يدخل ببطء إلى المسـرح يتكون من رهبـان يرتدون كـاكـولات سوداء. أربعـة منهم يحملون نعشاً ملفوفاً فى ملاءة سوداء. الآخرون يرتلون وأفواههم مغلقة نوعاً من التراتيم اللاتينية. الموكب يعبر المسرح ثم يخرج فتظهر مربية أغنى الأغنيـاء فى مـلابس الحـداد. دون كـيـشـوت وسانشـو يركعان، فتتوقف المربيـــة أمام دون كيشوت".

الــــــداد ا : تستطيع أن تبكى أيها المتوحش! لا يوجد شئ يمكن أن يغلق أبواب الجـحـيم أمـامك ! " **كـيـشـــوت مندهشاً يرفع رأسه وينظر إلى المربيـــة** " تريد أن تقول أنك لا تعرفنى؟!

كيشــــــوت : إن لم أقل ذلك فانى كاذب!

الــــــدادا : أنظر إلىّ يا إبليس! أنا مربية أغنى الأغنياء!

كيشــــــوت : نعم، نعم! تذكرت الآن! لكن ماذا تريدين منى؟

الــــــدادا : معجزة! يا فارس المعجزة! وبسرعة! لأن أغنى الأغنياء سيدفن بعد لحظة واحدة !" **كـيـشـــوت وسانشـــو يقفان فجأة**

كيشــــــوت : ما هذا الذى تقولينه؟

الـــــــــدادا : مات سيدى!

كيشـــــــوت : مات! لا يمكن! وكيف مات؟

الـــــــــدادا : ومـاذا يهم.. يكفي أن تعـرف أنه مـات! والبـاقى للشـيطان الذى عليـه أن يأخـذك أنت أيضـاً! "

تخرج. يظل دون كيشـوت مبهوتاً "

كيشـــــــوت : سانشـــــــو! ماذا سمعت؟

سانشـــــــو : ما سمعته أنت!

كيشـــــــوت : هل هى تقصد الرجل إياه!

سانشـــــــو : أنا خائف من أجله!

كيشـــــــوت : لماذا؟ ماذا حدث له!

سانشـــــــو : ما سمعته!

كيشـــــــوت : لم أسمع شيئاً!

سانشـــــــو : ولا أنا أيضاً!

كيشـــــــوت : مـاذا إذن؟ كفـاك رعباً! مما تخاف إذن؟ إذا كـان قـد مـات فـمـاذا أفـعل أنا؟ هل أنا مـوجـود لأمنع المـوت عمن يريدونه؟" **فترة صمت** ".

سانشـــــــو : ربما لم يكن يرغب في المـوت!" **فترة صمت** "

كيشـــــــوت : وربما مات من الحب!

سانشـــــــو : ويمكن أن يموت الإنسـان من أشـيـاء كـثـيـرة أخرى!

كيشــــــــوت : مات من الحب! يكفى أن تتذكر جمال كاترينا حتى
تدرك أنه مــات من الحب! وأنا.. أنا يا ســانشــو
السبب

سانشــــــــو : ولماذا لا تقول أنه مات من الغضب أو الضيق؟!

كيشــــــــوت : من الغضب، من الضيق، من الحب.. المهم أنى
السبب وهذا ليس عدلاً! " **فترة صمت** "

كيشــــــــوت : " **وهو يفكر** " أين العدل؟ اليوم كـان المــوت
أمامى، ولو كنت مددت رمحى قليلاً فى مواجهته
لقضيت عليه. لكنى تركت المــوت يمر! المــوت
لعب بى يا سانشــو!

سانشــــــــو : هيا بنا إذن!

كيشــــــــوت : " **دون أن يسمع** " آه! أيها المــوت! سأواجهك
من جديد! تعال! تعال!

سانشــــــــو : لا، يا سيدى، لا، هذه الأشياء لا تقال!

كيشــــــــوت : المــوت! المــوت! ستجىء أم لا أيها الجبان أنا
أناديك وألعنك." **شعاع ضوء على العمق، وفى
الوسط حزمة الشعاع. يظهر المــوت والمــارد
والمهرج والمــــــلاك أو الممثلون الذين ظهروا
من قبل وهم يضحكون، يمسكون بأيديهم رايات**

أو جزوع نباتات فى أطرافها قطع من ملاءات سوداء كما لو كانت بيارق ترفرف وهكذا يكونون تشكيلاً يشبه طواحين الهواء".

كيشوت : آه آه! أخيراً قررت! أضحك ضحكات أخرى أيها الموت القادر الغادر الفاجر! استعد فبعد لحظة لن يكون هناك صدى ضحكة أخرى! سترى الآن يا سانشو أكبر معركة لم يحدث مثلها ولا حتى ضد قوى الليل.. أنا النهار يا سانشو! أنا النهار!

سانشو : ماذا ستفعل يا سيدى؟

كيشوت : ماذا ؟ سترى! الموت هنا!

سانشو : أين؟ أنا لا أرى شيئاً!

كيشوت : أمامنا! الموت ومن معه!

سانشو : هيه! يا سيدى! لا أرى أكثر من طواحين الهواء!

كيشوت : ها! ها! طواحين هواء! هيه! أيها الموت! أتسمع الوصف الذى يصفك به تابعى؟ طواحين هواء! إحذر! وأعلم جيداً أن فارس الفرسان هو الذى ينازلك!" **يتقدم إلى الأمام".**

سانشو : " **صائحاً"** سيدى! سيدى! أقسم لك أنها طواحين هواء! طواحين هواء أقول لك! طواحين هواء!"

عندمـا يقـتـرب دون كـيـشـوتِ من المـوت ومجموعته، جناح كبير من طواحين الهواء ينزل من القوس محدثاً جلبه كبيـرة ومفـزعة.. موسيـقى إلكترونيـة.. الجناح يخفى دون كيشوت والمجموعة عن المشاهدين.. أعلى من الضجيج المفزع، يسمع دون كيشوت الذى يطلق صرخة مروعة".

سانشـو : " يصيح " طواحين هواء.. طواحين هواء.. طواحين هواء

إظلام كامل

" وسط شـعـاع الضـوء يظهـر درع كـيـشـوت منتصباً ولكنه فارغ. وفجأة تسمع فرقعة رهيبة وتكسير حديد خردة، فيظهر الدرع وهو يتقوض على نفسه".

إظلام

" إضـاءة وسط المسرح. على سرير سـفـرى، دون كـيـشـوت نائم وقـد مـد قـامـتـه تماماً، يرتدى قـمـيـصـاً " وصـديرى ".. الكتب التى كـانت قـد ظهرت فى البداية تتدلى ببطء فى علب بأطراف الخيط.. حول السرير، الحـلاق والفتاة والمربيـة

والقس. الأربعة منكبون على دون كيشوت"

القس : هيا يا سنيور، جاء الوقت الذى تعترف فيه بخطاياك.

الفتاة : خطاياك! أتسمع يا خالى؟ خطاياك.

المربية : شئ من العقل الآن يا سيدى.. ألم يكن من الأفضل البقاء فى البيت؟

الحلاق : أنظر كيف نحبك!

القس : يا بنى بغير حكمة لا توجد فضيلة.

الفتاة : اعترف أنك نلت عقوبة جنونك.!

المربية : أطلب المغفرة من الرب لأنك أهنت العقل والحكمة!

الحلاق : ولأنك منعت نفسك من الرؤية الواضحة!

القس : يجب أن تنظم ضميرك!

الفتاة : وتنظم عملك وتصرفاتك!

المربية : الدرس قاس لكن لابد وأن تستفيد منه!

الحلاق : هل ترغب فى استدعاء الكاتب من أجل الوصية!" **فترة صمت"**

كيشوت : نعم!

الفتاة : رعانا الله! ها هو قادم من بعيد!" **الفتاة تخرج**

مسرعة تصحب الكاتب الذى كان ينتظر بالخارج"

الفتـــاة : ليس عليك إلا أن تتكلم يا خالى!

الكاتـــب : نعم.. تكلم يا سيدى.. وأنا أكتب!

كيشـــوت : أوصى بكل ممتلكاتى، أثاث، وعمارات لابنة أختى الموجودة هنا..

الفتـــاة : أوه! خالى! لم يحدث أن صحبت الدموع إرثاً من هذا النوع..

كيشـــوت : " يستمر " بشرط أن تعطى ابنة أختى ربع القيمة نقداً لمربيتى.

المربيـــة : سيدى! اطلب من السماء أن تجعلك تحيا ألف عام قبل أن أحصل على هذا الإرث..

كيشـــوت : " يستمر " وبشرط أن تعطى ابنة أختى فدانين من أراضى القمح لحلاقى.

الحـــلاق : سيدى! خبز القمح هذا سيكون أعز أكل أكله إنسان فى حياته.

كيشـــوت : " يستمر " وبشرط أن تعطى كل كتبى للقس يفعل بها ما يشاء.

الحـــلاق : " للقس " لو ابتعتهم بالكيلو ستحصل على ألفى

جنيه على الأقل.

الكاتب : سيدى لم يبق غير أن توقع هنا.." **يقدم الوصية ويسلمها إلى دون كيشوت الذى يوقع. ثم يأخذ الكاتب الوصية وينظر إليها"..**

الكاتب : لكن يا سيدى هذا لا يمكن أن..

الفتاة : ماذا حدث؟

الكاتب : السنيور، أليس اسمه كيكسادا!

الفتاة : نعم.

الكاتب : إذن لماذا وقع باسم دون كيشوت؟

الفتاة : هيه! خالى! لقد أخطأت، يجب أن توقع توقيعاً صحيحاً.

المربية : أنت تعلم جيداً أن اسمك ليس دون كيشوت.

الحلاق : بتوقيع شبح لا يمكننا أن نرث أى شئ!

الكاتب : الوصية كما هى الآن لا تساوى شيئاً!

الفتاة : هل تسمع ما يقولونه يا خالى؟

القس : هيه، سنيور كيكسادا.. لا يمكنك أن تصعد إلى السماء إلا باسمك الحقيقى! وإذا أخطأت فيه هنا على الأرض، فإن الملائكة ستخطئ فيك ولن تتعرف عليك.. فالأفضل أن توقع توقيعاً

صحيحاً!" **فترة صمت** ".

المربيـــــــة : سيدى لا داعى لهذه الألاعيب!

الحــــــلاق : وأنت تعلم جيداً أنك لست دون كيشوت.

الفتـــــــاة : وأن اسمك الحقيقى هو كيكسادا!

القـــــــس : ستستمر على جنونك هذا معتقداً أنك فارس بينما لست أكثر من كيكسادا، إعترف!

الفتـــــــاة : إعترف يا خالى، إعترف!

الحــــــلاق : عموماً لدينا ما يؤكد اسمك.

القـــــــس : إعترف بخطئك وإلا أصبحت كل الإعترافات بخطاياك خداعاً

الحــــــلاق : قل إنك لم تعد فارساً.

المربيـــــــة : لا نطالبك بأكثر من التوقيع باسم كيكسادا.

الحــــــلاق : لاحظ أيضاً أن الوصية بهذا الشكل تصبح عدماً!

القـــــــس : كما أن حياتك كلها عدم.

الفتـــــــاة : كأنك لم تحى أبداً.

المربيـــــــة : إعترف إنك كيكسادا، هذا أفضل.

الفتـــــــاة : أو اعترف بأنك لست دون كيشوت.

القـــــــس : ماذا تفضل، تعترف بكيكسادا أم تتنكر لدون كيشوت!

الفتـــــاة : هذا أو ذاك، المهم أن تعترف.

المربيـــــة : اعترف!

الحـــــلاق : إعتراف!

القـــــس : إعتراف!

الجميـــــع : إعتراف، إعتراف، إعتراف! " **فى وسط المسرح يدخل سانشو فجأة. الجميع يتوجهون ناحية سانشو مهرولين**".

سانشـــــو : سيدى! سيدى!

المربيـــــة : أخرج من هنا، أيها الشرير.

سانشـــــو : أريد أن أرى سيدى..

الحـــــلاق : أخرج من هنا، رائحتك تزعج سيدنا!

سانشـــــو : أفضل أن يطردنى هو نفسه.

الفتـــــاة : اخرج كفى ما حدث له بسببك!

سانشـــــو : أنا؟ لماذا؟ كنت طاحونة هواء أم ماذا!

القـــــس : يجب أن تخرج يا سيدى سانشو، لم يعد لك وجود هنا!

سانشـــــو : مستحيل، لم يكن فى حاجة إلى.

القـــــس : لا تستطيع أن تقدر يا سيد سانشو أنه لو رآك الآن سيجن جنونه مرة أخرى.

كيشـــوت : " **صائحاً وهو فى فراشه** " دعوا صديقى الوحيد يقترب منى!

الفتـــاة : " **للحلاق والقس** " لا تستجيبوا له، اطردوه وإلا ضاع كل شئ!

الحـــلاق : أخرج من هنا قبل أن أكسر ضلوعك!

القـــس : كن عاقلاً يا سيد سانشـو، مكانك ليس وسط هذه العائلة.. من الأفضل أن تعود إلى بيتك.

كيشـــوت : " **صائحاً من بعيد** " سانشـو يساوى الاسم الذى تريدونـــه!" **الجميع ينظرون ناحية دون كيشوت ثم يبتعدون عن سانشو الذى يهرول ناحية دون كيشوت ويخور على رأس السرير**".

سانشـــو : سيدى! سيدى!" **الحلاق والفتاة والمربيـــة و القس يراقبون المشهد من بعيد وفى صمت** ".

الفتـــاة : أين وعدك إذن يا خالى؟ " **فترة صمت** "

كيشـــوت : أنا.. لا.. شئ.. دون.. دونكى.. دون كيشوت.. أنا.. لست.. فارساً.. أنا.. لم.. أفعل.. أبداً.. كل.. ما.. فعلته.. كل شئ.. وهم.. أنا.. لم.. أوجد.. فى حياتى!" **يتناول الوصية والقلم من يدى الكاتب ويوقع**".كيكسادا! "**ينفجر ضاحكاً**"

سانشـــــو : "**مفاجأ** " ما معنى هذا يا سيدى؟

كيشـــوت : "**صائحاً**" إنى أستسلم، يا سانشـــو، استسلم

سانشـــــو : فسر لى أرجوك..

كـيـشـوت : يبــدو أن مكافــأة الحكمــة هى أن يمــوت الإنســان مستريحاً.. ولهذا ينبغى عليك أن تعود إلى عقلك.

سانشـــــو : هيه! أنت تتكلم عن الموت هنا ؟

كيشـــوت : كسبت العقل يا سانشـــو وسأموت به..

سانشـــــو : " **صائحاً** " ليس من حقك، لا يمكن.. أتسمعنى؟ ليس من حقك! وإلا أصبح سهلاً على كل إنسان.. أن يعد بجـزيرة.. وأن يسـخـر له سـانشـــو آخـر.. وأن يقـيم صداقة ثم يموت! ليس من حقك! إنى أمنعك؟ هيه! قاوم نفسك يا سيدى، إنتصر على نفسك! إذا كان الموت يأتيك، اهزم نفسك!!

كيشـــــــوت : مازلت تقول أنها طواحين هواء؟!

سانشـــــــــو : لا! كنت على حق، لقد كان المــوت!

كيشـــــــوت : نعم، كان المــوت! ومادام قد هزمنى.. فقد قضى الأمر ! هذا قانون الفروسية!

سانشـــــــــو: كيـف تقـول هذا ولم يبـدأ شئ بعـد؟ أنظر إلى من ينتـظرونك يا سـيـدى.. كل الجـائعـين خـبـزاً.. كل الجـائعـين دفـئـاً.. كل الجائعين حبـاً.. كل الذين

تختفى عنهم الشمس.. كل الذين يبتاعون الهواء ليتنفسوا به.. كل المخدوعين، كل المسخرين، كل المحرومين من لقب إنسان!.. ألا تراهم؟! ألا تسمع نداءاتهم؟ يجب أن تذهب إليهم، من ذا الذى سينقذ العالم إذا تخلى عنه دون كيشوت؟ العدالة فى حاجة إلى منقذ! الحرية فى حاجة إلى ملهم! السلام فى حاجة إلى رسول، كل إنسان ينبغى أن يحصل على حقوقه، على فرصته! يحصل على حياته! أمامك انتصارات كثيرة فى إنتظارك يا سيدى يجب أن تذهب، يجب أن تذهب!

كيشوت : " **فى أذنى سانشو** " من قال لك أنى لا أفكر؟ تعتقد أنك تنبهنى إلى ما ينبغى علىّ عمله؟ هش! دعنى أتصرف يا سانشو!" **يعنى الموجودين** " يجب أن أدعهم يتصورون أنى سأخضع لرأيهم.. أنا أحاذر من يقظتهم فقط.. أتفهم؟

سانشو : نعم، نعم، أفهم..

كيشوت: إنى أموت بإستراتيجية، بتكنيك! حتى لا يمكنهم أن يحتجزونى أكثر من هذا.. وعليك أن تنتظرنى إلى جوار الجواد.. أمامى لحظة واحدة.. هيا اذهب..

سانشـــــــو : أثق فيك يا سيدى! أثق فيك! سأنتظرك! إطمئن! سأنتظرك كما تريد!" **يخرج ببطء** "

الفتـــــــاة : هل لاحظت الكآبة التى أصابت هذا الرجل؟

المربيـــــــة : معنى هذا أن سيدنا أنكره..

الحـــــلاق : وهذا خير دليل على أنه يموت عاقلاً!

القـــــــس : عاقل لكن ميت! " **يتجهون ببطء ناحية دون كيشــــــوت.. بروجكتور يضئ فجأة وجه دولسينا الذى يبدو رائع الجمال"**

دولسينـــــــا : إيه يا فارس الفرسان! هل ضعت تماماً، انتهيت. شردت، فقدت؟ ضاع منك خيط التيه؟ أنا فى إنتظارك يا فارسي.. كدت أنسى أنك لابد أن تهزم الآخرين؟ ستترك دولسينا المسكينة تنطفئ إلى الأبد؟ ألا تريد أن تعرف المجهول.. هناك بعيداً فى الأبدية؟ يجب أن تسير يا فارسي.. الشجاعة لا نهاية لها.. أنا فى نهاية اللا نهاية.. تعال يا فارسي، تعال لا تيأس أبداً من الوصول إليّ والعثور عليّ.. أمامك الخلود كله.. تعال! " **دون كيشوت يعتدل ويصيح** ".

كيشـــــــوت : أنا قادم!

" إظلام على دولسينا. الحلاق والفتاة والمربية والقس يتصلبون بلا حراك. دون كيشوت يرتمى مرة أخرى على السرير.. يدخل جنديان من حرس الملك".

الأول : هيه!! جئنا نبحث عن الفارس دون كيشوت دولامانشا!

القس : تأخرتما في المجئ! السينور دون كيشوت رحل!

إظلام

" إضاءة على البراتيكابل الأعلى. على شعاع البروجيكتور الجواد عليه كتاب ضخم ورمح.. وبجانبه سانشو فوق حماره"

الكتاب : **" بصوت دون كيشوت "** هيا يا سانشو! إلى الأمام يا صديقى الوحيد!.. الكلمة الأخيرة لا يمكن أن تكون للشيطان!

ستار

رقم الإيداع	٢٠٠٤/١٠٩٤٢

طبع بمطابع

روزاليوسف

عندما نقرأ مسرحية
تمتعنا.. نفهم عالمنا.
إننا نرى إنعكاسا ليس
بليدا لذواتنا، التى ربما
لسبب أو لآخر قد أصابها
التبلد.
نتطابق مع شخصياتها
فنصحو، وكأننا كنا فى
غفوة. يهتف فى داخلنا
هاتف: «لقد كنت أدرك
هذا الشىء. أما الآن،
فإننى أعرفه». ثم
سرعان ما ينساب شلال
من الأفكار.
أفكار هى دم ولحم. نار
وأوكسجين. إنها وقود
الشخصيات التى نراها
ضمن عملية تكتشف،
وتعيد اكتشاف العالم.
وهكذا إلى ما لا نهاية.

د.سامح مهران